سلسلة شروح كتب
الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله -

المنير

٤-٥

الإعلام في شرح فضل الإسلام

و

البيان في شرح أصول الإيمان

تأليف
أ. د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم (سابقاً)

دار ابن الجوزي

الإعلام
في شرح فضل الإسلام

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاضي، أحمد عبد الرحمٰن

الإعلام في شرح فضل الإسلام لابن عبد الوهاب./ أحمد عبد الرحمٰن القاضي.- الدمام، ١٤٤٢هـ

١٤١ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٤ ـ ١٢ ـ ٨٣٣٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ العقيدة الإسلامية ٢ ـ الإسلام أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/٨٠٣١



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ

المملكة العربية السعودية:

الدمام- حي الريان- شارع عثمان بن عفان

ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣

٠١٣٨٤١٢١٠٠

ص ب. واصل: ٨١١٤

الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦

الرقم الإضافي : ٤٩٧٣

الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥

جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨

الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢

جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩

جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:

بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠

فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:

القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠

جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

الباركود الدولي: 9786038338124

aljawzi@hotmail.com

+966503897671

aljawzi

eljawzi

aljawzi.net

سِلْسِلَةُ شُرُوحِ كُتُبِ
الإِمَامِ المُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ
- رَحِمَهُ اللهُ -
(٤)

المشير

الإعلام في شرح فضل الإسلام

تأليف

أ. د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم (سابقًا)

دار ابن الجوزي



مقدِّمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فبلَّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى من اهتدى بهديه، واستنَّ بسنته إلى يوم الدين، **ثم أما بعد:**

فلقد كان الإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علامةً فارقةً في تاريخ العقيدة السلفية، لما كتب الله على يديه من أثرٍ عظيم في تجديد الدين، وإحياء التوحيد، ومحاربة الشرك والبدعة، التي ضربت أطنابها، في معظم بلاد الإسلام إبان القرن الثاني عشر الهجري، فدعا، وألَّف، وكاتب، وجاهد، فلم يحل رأس القرن إلا وقد طبَّقت دعوته أرجاء الجزيرة العربية، وامتدت آثارها إلى كثير من الأقاليم الإسلامية.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدة العُيينة، وهي بلدة تقع شمال الرياض، سنة (١١١٥هـ)، وكان والده عبد الوهاب، قاضي البلدة، وكان جده سليمان بن علي، من كبار الحنابلة في نجد. فنشأ في بيت علمٍ ودينٍ وشرف، وتلقى العلم منذ نعومة أظفاره على والده، فحفظ القرآن ولمَّا يبلغ العاشرة، وزوّجه والده وهو ابن اثنتي عشرة سنة، لما رأى من رجولته المبكرة، ونباهته، وكياسته، وجعله يؤم الناس في الصلاة. وطلب العلم في البلدات المحيطة ببلدته، ثم توجَّه إلى بيت الله الحرام، فقرأ على شيوخ الحرمين، ثم عاد أدراجه، ورحل إلى البصرة، مارًّا بالأحساء. وظهر له من هذه الجولة ما آل

إليه حال المسلمين في القرن الثاني عشر الهجري، من الجهل، والشرك، والبدعة؛ فقد رأى في بلاد الحرمين من صور الشرك والبدع المستوطنة، والوافدة مع أفواج العُمَّار، والزُّوار، والحجيج، ما يحز في النفس؛ من دعاء غير الله، والاستغاثة بالأولياء والمقبورين، وكذلك الحال في البصرة، والأحساء وفي بلاد نجد، من البدع، والخرافات، والتعلق بالطواغيت، مما أيقظ في قلبه الرغبة في إحياء الدين، وتجديد التوحيد في حياة المسلمين.

فشرع في هذه المهمة العظيمة بالدعوة الصريحة، وجرى له محن وخطوب، حتى ساقه الله تعالى إلى بلدة الدرعية؛ فالتقى بالإمام محمد بن سعود، فتعاهدا وتعاقدا على نصرة الدين، ونشر التوحيد، ففتح الله عليهما في الجزيرة العربية، واستمر هذا التأثير يسري سريان النور في الظلماء في أرجاء العالم الإسلامي، فتأثر به أناسٌ كثر، ودعوا إلى توحيد ربِّ العالمين.

وألّف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى كتبًا كثيرة، امتازت بالتأصيل، والوضوح، وسهولة العبارة، والتصنيف على طريقة السلف، فلم يكن يخلط كلام الله، وكلام نبيه ﷺ بكلامه؛ بل كان يكتفي بوضع التراجم للأبواب، ثم يتبعها بذكر المسائل، كما وقع في (كتاب التوحيد)، وربما عقب تعقيبات يسيرة كما في هذا الكتاب.

أما المراسلات؛ فكان يكتب ويناقش ويجادل بالتي هي أحسن، ويورد الحجج، ويقمع الشُّبهات، فجاهد في الله تعالى جهادًا مبينًا، وأمدَّ الله تعالى في عمره، فكانت وفاته سنة (١٢٠٦هـ)؛ أي: أنَّه عاش إحدى وتسعين سنة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمةً واسعة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، كتاب **(الإعلام في شرح فضل الإسلام)** قصد مصنفه بيان حقيقة دين الإسلام، وفضله، ووجوب الدخول في عقده، والاستغناء به عما سواه، وتحريم الخروج عليه، وخطورة تبديل الفِطْرة التي فطر الله الناس عليها، وضرورة لزوم السُّنَّة، والتمسك بها كاملة، والتحذير من البدعة، وفضل الغربة، وإصلاح ما أفسد الناس.

وقد يسَّر الله شرحه في عدة مناسبات، في مجالس علمية متتالية، وجرى

تفريغ الأوعية الصوتية، وتنقيحها، والإضافة عليها، وتخريج أحاديثها تخريجًا وسيطًا، وإدخال النقول المفيدة من كلام الأئمة في مواضعها المناسبة. وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، محققًا لمقصود مؤلفه.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

أ. د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي

عنيزة. في: ١٤٤٢/٤/١٥هـ



باب (١)

فضل الإسلام

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ باب: فضل الإسلام.

❁ وقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤] الآية. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: ٢٨].

❁ الشرح ❁

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**باب: فضل الإسلام**» الفضل: هو الشرف، والزيادة.

والإسلام لغةً: مأخوذ من الاستسلام، وهو الانقياد والخضوع.

واصطلاحًا، بالمعنى العام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وهو، بهذا الاعتبار، دين الله للناس جميعًا؛ الأولين والآخرين، ليس لله دين سواه. وهو الذي بعث الله تعالى به جميع الأنبياء والمرسلين، فما من نبيٍّ، ولا تابع نبي، إلا وهو مسلم بهذا الاعتبار. والدليل على هذا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا

وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

فدين الله واحد، هو الإسلام، وعقيدة الأنبياء واحدة، وهي التوحيد، فلا يجوز التفريق بين رسل الله؛ لأنَّ الله قد جمعهم، ووحَّد دينهم؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وذمَّ الله الذين يفرِّقون بين رسله، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

ولذلك سمَّاهم الله تعالى مسلمين، ووصفهم بالإسلام، وهو الاسم القديم، الباقي، لأولياء الله على مرِّ العصور:

ـ قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢].

ـ وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١].

ـ وقال عنه، وعن إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وبرَّأه من اليهودية والنصرانية، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

ـ وقال عن يعقوب عليه السلام وبنيه: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣].

ـ وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

ـ وقال عن موسى عليه السلام أكبر أنبياء بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ

ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]، وأدرك هذا المعنى سحرة فرعون، حينما رأوا الحقَّ الصُّراح، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، ولما هلك فرعون، أو كاد، فَاهَ بهذا الوصف: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

ـ وأخبر عن ملكة سبأ أنها قالت: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤].

ـ وأخبر عن حواريي عيسى ﵇ أنهم قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وفي موضع: ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

ـ وقد سمَّى الله تعالى جميع أنبياء بني إسرائيل مسلمين، كما في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

ـ بل إنَّ مؤمني الجن عبَّروا بهذا التعبير فقالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ﴿١٤﴾﴾ [الجن: ١٤].

ـ وأمر نبيَّه محمدًا ﷺ بما أمر الله تعالى به الأنبياء والمرسلين، فقال: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١٢]، وفي موضع: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٦]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فهذا الحشد من الآيات يُبيِّن أنَّ لفظ (الإسلام) لفظ قديم، واصطلاح عتيق، لم يأتِ مع بعثة محمد ﷺ؛ بل هو دين الله للأولين والآخرين، فهذا هو الإسلام بالمعنى العام.

وإنما وقع التنوع في الشرائع، كما قال ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**» متفق عليه(١). والإخوة لعلات، هم أبناء الضرائر.

---

(١) أخرجه البخاري في باب قول الله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: ١٦]، برقم (٣٤٤٣)، وأخرجه مسلم في باب فضائل عيسى ﵇، برقم (٢٣٦٥).

ووجه الشبه أن الأنبياء دينهم واحد، وشرائعهم متنوعة، كما أن أبناء الضرائر، أبوهم واحد، وأمهاتهم متعددات.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص: فهو ما بعث الله به محمدًا ﷺ من العقائد الصحيحة، والشرائع العادلة، والآداب القويمة، والأخلاق الرفيعة، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. فالإسلام بالمعنى الخاص، هو اللقب الذي غلب على هذه الأمة. فتبيَّن بهذا اتصال حلقات الإسلام، كما قال تعالى عن مؤمني أهل الكتاب: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥١ ـ ٥٤].

فهذا هو الإسلام الذي عنون له المصنف بقوله: «**باب فضل الإسلام**» وصدّره **بثلاث آيات**:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾: هذه آية عظيمة، وهي من آخر ما نزل على النبيِّ ﷺ، فيها امتنانٌ بليغٌ من الله تعالى على هذه الأمة؛ بإكمال الدين، وإتمام النعمة. فعن طارق بن شهاب، أن يهوديًّا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا نزلت، معشر اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: وأيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. فقال عمر رضي الله عنه: «إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم جمعة»[(١)]. وفي رواية: «نزلت ليلة جمع»؛ أي: ليلة المزدلفة، وهي عشية يوم عرفات «ونحن مع رسول الله ﷺ بعرفات»[(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «ومراد عمر رضي الله عنه أنَّا قد اتخذنا ذلك اليوم

(١) أخرجه مسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠١٧).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠١٧).

عيدًا من وجهين: فإنَّه يوم عرفة، ويوم جمعة، وكلٌّ منهما عيد لأهل الإسلام»[(١)].

۞ فوائد الآية:

١ ـ فضل الإسلام؛ لأنَّ الله تعالى قد أكمله، وأتمَّه، فهذه الآية شاهد على ما عنون له المصنف.

٢ ـ شمول الشريعة ـ بحمد الله ـ لجميع مناحي الحياة؛ العبادات، والمعاملات، وما يتعلق بالأمور الشخصية، والأمور العامة، وما يتعلق بالدنيا والآخرة، فلا تجد أمرًا، إلا وقد ترك لنا منه ﷺ علمًا، كما قال الله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ أي: صدقًا في أخبارها، وعدلًا في أحكامها.

٣ ـ إبطال البدع والمُحْدَثات، فإنَّ المبتدع يقول بلسان حاله، لا بلسان مقاله: الدين لم يكتمل، والنعمة لم تتم، فلذلك اقترح ما اقترح من المُحْدَثات. فهذه الآية تقطع الطريق عليه.

الآية الثانية: قول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾: هذه الآية تدل على ثقة النبيِّ ﷺ بدينه؛ فالمعنى: إن كنتم في شكٍّ من ديني، فلست في شكٍّ من ديني؛ بل إني على بينةٍ من ربي، ولا أعبد الذين تعبدون من دونه، كما أمره ربه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥﴾ [الكافرون: ١ ـ ٥].

وقد لاحظ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملحظًا لطيفًا في تفسير قوله: ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ﴾، فقال: «إنَّ كثيرًا من الناس إذا عرف الشرك، وأبغضه، وتركه، لا يفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله، وإعظامه، وهيبته، فذكر هذه الحال

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٥٣، ١٥٤).

﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾»[١]. فليتذكر المؤمن أنَّ الله هو الذي يتوفاه، وأنَّه إليه صائر ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، فهذا يورث في قلبه إجلالًا وإعظامًا لله تعالى.

❁ فوائد الآية:

١ ـ فضل الإسلام، لما يورثه من اليقين والبينة.

٢ ـ مشروعية الخطاب العام، وقد وقع في القرآن العظيم بهذه الصيغة: (يا أيها الناس) تسع عشرة مرة.

٣ ـ أن من أنواع الكفر: كفر الشك.

٤ ـ بطلان الشرك، وعبادة غير الله.

٥ ـ التنبيه على استحقاقه للعبادة، لكونه الربّ المحيي المميت.

الآية الثالثة: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾: اختلف المفسرون في المُخاطب بهذه الآية على **قولين:**

القول الأول: أنَّ المُخَاطب بها مسلمة أهل الكتاب، فإنَّهم إن أسلموا فإنَّ الله سيؤتيهم كِفْلَين من رحمته، فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: آمنوا بمحمد، كما آمنتم بأنبيائكم السابقين، حينئذٍ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾[٢]. ويؤيد هذا أنَّ الآية جاءت في سياق قوله: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، ويؤيده أيضًا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤]، مرتين لإيمانهم بنبيهم، ثم لإيمانهم بمحمد ﷺ.

---

(١) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب. القسم الرابع: التفسير: ص١١٤، ط. جامعة الإمام، أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٢٣/٢٠٧).

القول الثاني: أنَّ المعنى أعم، وأنَّها تشمل مؤمني هذه الأمة، فإنَّهم إذا اتقوا الله، وآمنوا برسوله، فإنَّ الله يضاعف لهم المثوبة[١]. وممن ذهب إلى هذا الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد قال: «وهذا الظاهر، وأنَّ الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم، أعطاهم الله ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾، لا يعلم وصفهما وقدرهما إلا الله تعالى»[٢].

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ التقوى: أن يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية، بفعل أوامره واجتناب مناهيه. وأصلها الإيمان بالله، والعلم بالله بأسمائه وصفاته التي تورث محبته، وخشيته.

قوله: ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. وما يستتبع من وجوب محبته، والصلاة والسلام عليه. أو بمعنى: ازدادوا إيمانًا.

قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾: الكفل هو النصيب. والرحمة هنا هي الرحمة المخلوقة التي بمعنى الثواب، والإنعام، والإحسان، الحاصل من أثر رحمته التي هي صفته. كما قال في الآية الأخرى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤].

قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ النور الذي وُعِدوا به **نوران**:

ـ **نورٌ معنوي**: وهو الهدى والبصيرة، المستمد من الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤].

ـ **نورٌ حِسِّي**: وهو الذي يكون في عَرَصَات القيامة، كما قال تعالى: وقال: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢]، ﴿يَوْمَ لَا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٢٣/٢٠٩).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمٰن (ص٨٤٣).

يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ الغفر: الستر والتجاوز. ومنه سمي «المغفر» لأنه يستر الرأس، ويقيه. وفي الآية إغراءٌ عظيمٌ لمن شرح الله صدره للإيمان والتقوى.

۞ فوائد الآية:

١ ـ فضل الإسلام، لما يترتب عليه مضاعفة الأجر والثواب، والهداية، والمغفرة.

٢ ـ فضيلة التقوى.

٣ ـ أن الأمر بالإيمان يتناول ابتداءه، والازدياد منه.

٤ ـ أن الإيمان يزيد وينقص.

٥ ـ حُسن عاقبة الإيمان والتقوى في الدنيا والآخرة.

٦ ـ حاجة الإنسان للنور المعنوي لاكتساح ظلمات الشبهات والجهالات، والنور الحسي لاكتساح ظلمات يوم القيامة.

٧ ـ حاجة الإنسان للتخلص من آثار الذنوب وتبعاته.

٨ ـ إثبات اسمي الله «الغفور» و«الرحيم»، وما تضمناه من صفتي «المغفرة» و«الرحمة».



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ وفي «الصحيح»: عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«مَثَلُكم ومَثَلُ أهل الكتابين؛ كمَثَلِ رجل استأجر أجراء، فقال: من يعمل لي من غدوةٍ إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن**

تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء»(١).

الشرح

دلّ هذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري وغيره، على فضل هذه الأمة، وتميُّزها على سائر الأمم. **قوله: «مثلكم ومثل أهل الكتابين»** المراد بأهل الكتابين: اليهود والنصارى، والكتابان هما: التوراة والإنجيل، وتقدير الكلام: مثلكم، ومثل أهل الكتابين مع أنبيائهم، أو مع ربهم.

قوله: «كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل لي من غدوةٍ إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود» الغُدوة، والغداة: وقت ما بين الفجر وطلوع الشمس. والقيراط: معيار للوزن، يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة. واليهود: قوم موسى عليه السلام، وهم أقدم الملل الثلاث.

قوله: «ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى» ما بين الزوال إلى العصر دون ما قبله. والنصارى: قوم عيسى عليه السلام.

قوله: «ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم» ما بين العصر إلى مغيب الشمس دون ما قبله في الغالب. والمراد بهم أمة محمد ﷺ.

فكان لمن عمل غدوة إلى نصف النهار ـ وهم اليهود ـ قيراط، ولمن عمل ما بين الظهر والعصر ـ وهم النصارى ـ قيراط، وهذا يدل على أنَّ النصارى يؤتون أجرهم أكثر من اليهود؛ لأنَّ ما بين الظهر والعصر أقل زمنًا من الغدوة. وأما هذه الأمة فعملت آخر النهار على قيراطين؛ فآتاهم الله تعالى ضعف ما آتى الأولين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار برقم (٢٢٦٨).

قوله: «**فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقل أجرًا؟ قال: هل نقصتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا، قال: ذلك فضلي أوتيه من أشاء**» فلا وجه لاعتراضهم، فقد عاملهم بالقسط، وعامل أمة محمد بالفضل. وهذا محل الشاهد.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ فضل الإسلام، وأهله، فقد آتاهم الله ضعف ما آتى أهل الكتاب.

٢ ـ فضل النصارى على اليهود؛ لأنَّهم عملوا أقل زمنًا، ونالوا مثلهم من الأجر.

٣ ـ ضرب الأمثال الحِسِّيَّة التي تقرِّب المسائل المعنوية إلى الأذهان، فينبغي للعالِم أن يستعمل هذا الأسلوب الأمثال في تعليمه، ودعوته. وضرب الأمثال كثير في القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٤ ـ وجوب العلم بالثمن والمثمن في العقود والمعاوضات، وانتفاء الجهالة.

٥ ـ أن أساس العقود التراضي بين المتعاقدين.

٦ ـ الرد على المعتزلة الذين يقولون بوجوب فعل الأصلح أو الصلاح على الله ﷻ، فهذا الحديث يُبيِّن أن الأمر متعلقٌ بمحض فضله ومشيئته؛ فالله ﷻ أعطى الأولين قيراطًا، وأعطى هذه الأمة قيراطين. ومقتضى مذهب المعتزلة أنَّ ذلك من باب المقايضة، فيجب على الله ـ بزعمهم ـ التسوية، وهذا من سوء الأدب مع الله ﷻ، فهذا الحديث ينقض ما ذهبوا إليه، ففيه حجة لأهل السُّنَّة: أنَّ الثواب من الله على سبيل الإحسان منه؛ كما قال النبي ﷺ: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة**»[1]، وأما العمل فسبب لرحمته وجنته،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٣)، =

كما قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧٢].

٧ ـ تنزيه الله عن الظلم.

٨ ـ إثبات الفضل والمشيئة لله، حسب ما تقتضيه حكمته.



ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيه: أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا ليوم الجمعة، وكذلك هم تبعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة**»[1].

الشرح

قوله: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا**» اختلف العلماء في المقصود بالإضلال، هل المعنى: أنهم أُمروا بذلك فخالفوا، أو أنَّهم أُمروا لا على سبيل التعيين فلم يهتدوا؟ والأقرب ـ والله أعلم ـ أنَّ معنى: «**أضل**»؛ أي: صرفهم عنها، وصرفها عنهم، وادَّخرها لهذه الأمة، فهم لنا تبع.

قوله: «**فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد**» أما اليهود فقد أُمِروا بتعظيم السبت، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء: ١٥٤]، وأما النصارى، فالظاهر أنهم اتخذوا الأحد مناكفةً لليهود.

قوله: «**فجاء الله بنا، فهدانا ليوم الجمعة**» وليوم الجمعة فضائل، ومزايا كونية، وشرعية. فعن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ**

= ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله برقم (٢٨١٦).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة برقم (٨٥٦).

مِنْهَا»[١]، وفي رواية: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»[٢].

قوله: «وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة» تبعيتهم في الدنيا ظاهرة؛ فالجمعة تسبق السبت والأحد، وتبعيتهم في الآخرة فسرها بالأولية يوم القيامة؛ وذلك بالحساب، وبدخول الجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، هَدَانَا اللهُ لَهُ ـ قَالَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ ـ فَالْيَوْمَ لَنَا، وَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»**[٣].

۞ فوائد الحديث:

١ ـ فضل الإسلام، وتقدُّمه على سائر الملل في الدنيا والآخرة.

٢ ـ هداية هذه الأمة إلى أفضل الأيام وهو يوم الجمعة، لما أودع فيه من الخصائص الكونية والدينية.

٣ ـ أنَّ الله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٤ ـ أنَّ أمة محمد ﷺ أمة السيادة، والريادة، والقيادة، لا يليق بها أن تتشبه بالمشركين وأهل الكتاب؛ في عاداتهم وأخلاقهم، فضلًا عن اعتقاداتهم؛ لأنها خير أمةٍ أخرجت للناس.



۞ ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

۞ وفيه: تعليقًا عن النبي ﷺ أنَّه قال: **«أحبُّ الدين إلى الله الحنيفية السَّمْحةُ»**[٤]، انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم في باب فضل يوم الجمعة، برقم (٨٥٤).
(٢) أخرجه مسلم في باب فضل يوم الجمعة، برقم (٨٥٤).
(٣) أخرجه مسلم في باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم (٨٥٥).
(٤) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١٦/١).

الشرح

قوله: «**وفيه**» مرجع الضمير إلى «صحيح البخاري»، فهذا مما رواه البخاري تعليقًا، وقد تتبع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ معلقات البخاري، فغلَّقها في كتاب اسمه «تغليق التعليق» وهي بحمد الله جميعها صحيحة، وقد قال عن هذا الحديث في الفتح: «إسناده حسن»(١).

فقوله: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**» وصف الله هذه الملة المحبوبة له **بوصفين**:

١ ـ **الحنيفية**: هي ملة إبراهيم، مأخوذة من الحَنَف، والحنف في أصل اللغة: الميل، قال ابن فارس: (الحاء، والنون، والفاء، أصل مستقيم، وهو الميل، يقال للذي يمشي على ظهور قدميه: أحنف، وقال قوم ـ وأراه الأصح ـ: إن الحنف اعوجاج في الرِّجل إلى داخل؛ ورجل أحنف؛ أي: مائل الرِّجلين، وذلك يكون بأن تتدانى صدور قدميه، ويتباعد عقباه. والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، والأصل هذا ثم يتسع في تفسيره، فيقال: الحنيف: الناسك، ويقال: هو المختون، ويقال: هو المستقيم الطريقة، ويقال: هو يتحنَّف: أي: يتحرى أقوم الطريق)(٢).

٢ ـ **السَّمحة**: أي: السهلة الميسَّرة، وهذا أمرٌ واضح، كما قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وأدركت يهود هذا حينما زنى يهودي بيهودية زمن النبيّ ﷺ، فقال بعضهم لبعض: ائتوا هذا النبيّ فإنَّه قد بُعث بالتخفيف(٣).

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢١).
(٢) معجم مقاييس اللغة (٢٦٦)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين برقم (٤٤٥٠).

فوائد الحديث:

١ ـ فضل الإسلام، لاتصافه بالاستقامة والسماحة.

٢ ـ إثبات صفة المحبة لله تعالى، وتفاضلها.

٣ ـ أنَّ الشريعة جاءت برفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير. وهذه أصول عظيمة في هذه الشريعة، وميزة لهذه الأمة، بخلاف من كان قبلنا؛ كانت عليهم من الآصار والأغلال؛ فوضعها الله عن هذه الأمة، وبعث نبيّها بالحنيفية السمحة.



ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «عليكم بالسبيل والسُّنَّة، فإنَّه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنَّة، ذَكَرَ الرحمٰن، ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسَّهُ النار، وليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنَّة، ذَكَرَ الرحمٰن فاقشعرَّ جلده من خشية الله، إلا كان مثلُهُ كمثل شجرةٍ يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح، فتحاتَّ عنها ورقها، إلا تحاتَّتْ عنه ذنوبه، كما تحاتَّ عن هذه الشجرة ورقها، وإنَّ اقتصادًا في سبيلٍ وسُنَّة، خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنَّة»[1].

الشرح

هذا أثر موقوف على أُبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو أقرأ الناس لكتاب الله تعالى، وله حكم الرفع لأنه تضمن علومًا وأحكامًا لا تقال بمحض الاجتهاد؛ بل لا بد أن يكون تلقاها عن المعصوم ﷺ.

قوله: «عليكم بالسبيل والسُّنَّة»؛ عليكم: أي: الزموا. والمراد بالسبيل:

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الزهد، ما قالوا في البكاء من خشية الله برقم (٣٥٥٢٦).

الملة والدين، والسُّنَّة: ما كان عليه النبيّ ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير.

قوله: «فإنَّه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسُنَّة، ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار» مراده رضي الله عنه أنَّ الإنسان إذا رُزق اتباع السبيل والسُّنَّة، فقليله كثير، وعمله مضاعف، ومن ذلك أنه إذا فاضت عيناه من خشية الله، حرم على النار، كما جاء في الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(١). بخلاف من التاث قلبه بالأهواء والبدع، فإنَّه لا يبلغ ما يبلغ المؤمن من الفضائل. فهذا الأثر مناسب لباب فضل الإسلام.

قوله: «وليس من عبدٍ على سبيلٍ وسُنَّة، ذكر الرحمٰن فاقشعر جلده من مخافة الله، إلا كان مثلُهُ كمثل شجرةٍ يبس ورقها، فبينما هي كذلك إذ أصابتها الريح، فتحاتَّ عنها ورقها، إلا تحاتَّتْ عنه ذنوبه كما تحاتَّ عن هذه الشجرة ورقها» هذا تمثيل بديع. قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٢٣]. فهذه القشعريرة الإيمانية ناشئة عن علمٍ بالله، وحسن ظنٍّ بالله، باعتقاد المثل الأعلى له، عند ذكر الله، خشيةً له وإجلالًا.

قوله: «وإنَّ اقتصادًا في سبيلٍ وسنة، خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنَّة»؛ أي: أنَّ العمل القليل الموافق للسُّنَّة، خير من العمل الكثير المؤسس على بدعة. وهذا واقع مشاهد؛ فتجد بعض أهل الأهواء والبدع ينفقون أموالًا طائلة، ويبذلون جهودًا كبيرة، في أمور ما أنزل الله بها من سلطان، لا تزيدهم من الله إلا بعدًا. وتجد المؤمن المتَّبع للسنة، المستنير بنور الله، يعمل العمل القليل، فيُثاب عليه ثوابًا عظيمًا، فهذا يدلُّ على فضل الإسلام، والاعتصام بالسُّنَّة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٦٣٩)، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: (٤١١٣)، وصَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب (٣٣٢٢).

❁ **فوائد الأثر:**

١ ـ فضل الإسلام، واتباع السُّنَّة، وحسن أثرهما على المتعبد.

٢ ـ فضيلة ذكر الله، والبكاء من خشيته، وأنها من أسباب النجاة من النار.

٣ ـ فضيلة القشعريرة من خشية الله، وأنها من أسباب تكفير الذنوب.

٤ ـ ضرب الأمثال الحسية، لتقريب القضايا العلمية.



ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «يا حبذا نوم الأكياس وإفطارُهُم، كيف يغبنون سهر الحمقى، وصومهم، ولَمثقال ذرة من بُرٍّ، مع تقوًى، ويقينٍ، أعظم، وأفضل، وأرجح، من أمثال الجبال عبادةً من المغترِّين»[(١)].

الشرح

هذا الأثر عن أبي الدرداء، وفي سنده ضعف وجهالة، لجهالة الراوي عن أبي الدرداء. لكنه من الحِكَم، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائد»: «وهذا من جواهر الكلام، وأَدَلَّهُ على كمال فِقه الصحابة، وتقدمهم على من بعدهم في كل خير، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم»[(٢)].

قوله: «يا حبذا» كلمة تمدُّح وتشوُّف.

قوله: «نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم» الأكياس: جمع كيِّس، وهو العاقل، اللبيب، الحازم. والغبن: النقص، والحمق: طيش العقل، وخفته. يريد أنَّ الموفقين للاتباع، ولزوم السُّنَّة؛

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (ص١٣٧) (٧٣٣)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢١١)، وصفة الصفوة (١/ ٢٤١).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص١٤١).

نومهم، وفطرهم، يرجح بما يقع من أهل البدع من قيام وصيام على غير هدًى وسُنَّة. قوله: «**ولمثقال ذرة من بر، مع تقوى، ويقين، أعظم، وأفضل، وأرجح، من عبادة المغترين**» إذا صدق العبد مع ربه، وصفا قلبه، وتخلَّصت نفسه من الشوائب، صار ثواب عباداته، وإن قلَّت، مضاعفًا كبيرًا، ومباركًا زكيًّا. وإذا شاب قلبه شوائب البدع، والتاث بلوثات المتكلمين، وأهل الأهواء، فإنَّه، وإن اجتهد في العبادة، لا يذوق حلاوة الإيمان، ولا يجد طعمها؛ فقليل المتَّبَع، خيرٌ من كثير المُبتَدَع، فخير ما نصح العاقل نفسه هو أن ينقي قلبه من شوائب البدعة، ويخلصها من لوثة الشرك، ويسلم وجهه لله ربِّ العالمين، حينئذٍ يكون عمله وإن قلّ مباركًا.

ومن شواهد هذا المعنى الشريف، حديث صاحب البطاقة الذي أخبر عنه النبي ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ علَيه تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا، يا رب، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عذر، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ**»(١)، أرأيتم فضل التوحيد والإيمان فإنه لما كان محققًا للتوحيد، وفرط منه شيء من المعاصي، رجح توحيده بها، حتى أنَّها طاشت بجنب ثقل التوحيد.

فعلينا أن نحرص على أن نخلِّص قلوبنا من الشوائب، والعوالق،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة برقم (٤٣٠٠) والترمذي، ت: شاكر في أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله برقم (٢٦٣٩)، وأحمد، ط. الرسالة، برقم (٦٩٩٤)، وقال محققو المسند: «إسناده قوي» وصححه الألباني.

والجواذب، وأن نجعل وجوهنا مسلمة لله ربِّ العالمين، وأن يكون لدينا وضوح في اتباع السُّنَّة، يجلو الغشاوة عن العينين، والوقر عن الأذنين، والأكنة عن القلوب، فيبصر الإنسان بنور الله، ويأتي البيوت من أبوابها، ويصيب كبد الحقيقة بعملٍ قليل، هذا هو مدار كلام الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ؛ كأُبي بن كعب، وأبي الدرداء.

۞ **فوائد الأثر:**

١ ـ فضل الإسلام، واتِّباع السُّنَّة، وأنه يبارك العمل القليل، ويزكيه.

٢ ـ عمق فقه الصحابة.

٣ ـ الحرص على حسن العبادة، أعظم من الحرص على كثرتها، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

٤ ـ أنَّ الاقتصاد في السُّنَّة، خيرٌ من الاجتهاد في البدعة.





باب (٢)

وجوب الدخول الإسلام

قال المصنف رحمه الله:

باب: وجوب الدخول الإسلام:

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣] الآية.

الشرح

لمَّا بيَّن المصنف رحمه الله فضل الإسلام على سائر الملل والأديان، أتبعه بهذا الباب في وجوب الدخول في عقد الإسلام.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

قال ابن كثير رحمه الله: (يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، الْمُصَدِّقِينَ بِرَسُولِهِ: أَنْ يَأْخُذُوا بِجَمِيعِ عُرَى الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِهِ، وَالْعَمَلِ بِجَمِيعِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ جَمِيعِ زَوَاجِرِهِ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ ذَلِكَ. قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَطَاوُسٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، والسُّدِّي، وَابْنِ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾؛ يَعْنِي: الْإِسْلَامُ).

واستدل المصنف **بثلاث آيات:**

الآيـة الأولـى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

الآية الثانية: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

دلَّت هاتان الآيتان المُحكَمتان على أنَّ دين الله واحد، وهو دين الإسلام، كما تقدم في الباب الأول. فليس لله دين اسمه «اليهودية»، ولا دين اسمه «النصرانية»، كما يتوهم بعض الناس، فإن قال قائل: فما اليهودية؟ وما النصرانية؟ فالجواب: أن اليهودية: هي ما آل إليه دين موسى عليه السلام بعد تحريف الأحبار، والنصرانية: هي ما آل إليه دين عيسى عليه السلام بعد تحريف الرهبان. فإنَّ موسى عليه السلام لم يُبعث باليهودية، وعيسى عليه السلام لم يُبعث بالنصرانية، حاشاهما؛ بل قد كانا مسلمَين حنيفَين. والدليل على ذلك:

ـ أنَّ الله تعالى سفَّه من رغب عن ملة إبراهيم، فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]. وملة إبراهيم هي الإسلام، وأما التهوُّد والتنصُّر، فهو انحراف ورغبة عن ملته.

ـ وبرَّأ إبراهيم، وسائر أنبيائهم من اليهودية والنصرانية، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ـ وأنكر عليهم قولهم: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ﴾ [البقرة: ١٣٥]، الآيات الكثيرة الدالة على أنَّ جميع أنبياء بني إسرائيل، وأتباعهم من المؤمنين، ينتمون إلى الإسلام، ويعلنون ذلك، كما تقدم في الباب الأول.

وبهذا يتبيَّن أيضًا بطلان الدعوة إلى وحدة الأديان، أو التقريب بين الأديان، التي ينادي بها بعض الناس، فلا يجوز أن يُلفَّق دين من الإسلام، واليهودية، والنصرانية، أو أن يقال: جميع الطرق تؤدي إلى الله! كلا، فليس ثَمَّ إلا طريق واحد، وسبيل واحد، يؤدي إلى الله، وهو الإسلام، كما استدلَّ المصنف: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن

﴿يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. ولم يفُه أحد من المسلمين بهذه الدعوة على مرِّ القرون، وإنَّما فاهَ بها زنادقة الصوفية والباطنية؛ كقول ابن عربي:

لقد كنتُ قبل اليومِ أُنكِرُ صَاحِبِي ... إِذَا لَم يَكُنْ دِينِي إِلَى دِينِهِ دَانِي
لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ ... فَمَرْعًى لِغِزْلَانٍ وَدِيرٌ لِرُهْبَانِ
وَبَيْتٌ لِأَوْثَانٍ وَكَعْبَةُ طَائِفٍ ... وَأَلواحُ تَوْرَاةٍ وَمصْحَفُ قُرْآنِ
أَدِينُ بِدينِ الحبِّ أَنَّى تَوجَّهتْ ... رَكائِبُهُ فَالحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي(١)

وقوله:

عَقَدَ الْخَلَائِقُ فِي الْإِلٰهِ عَقَائِدًا ... وَأَنَا اعْتَقَدْتُ جَمِيعَ مَا اعْتَقَدُوهُ(٢)

فهذا دين الزنادقة، دين التلفيق الذي يُقرُّ جميع الوثنيات، والديانات المحرَّفة. وهذه الدعوة الفاجرة البائرة فرع عن مقالة وحدة الوجود، فإنَّ من يقول بوحدة الوجود من زنادقة الصوفية، لا بدَّ أن يصوِّب ويصحِّح جميع الصور والأشكال، فعلينا أن نحذر من هذه الدعوات المتلفعة بمرط التسامح، واحترام الآخر، وحرية التعبير، وأن نلزم طريقة القرآن، وهدي رسول الله ﷺ.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ﴾، فنحن أصحاب المبادرة إلى الحوار، لكنه حوارٌ واضحُ الهدف والغاية: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾، وهذه الكلمة لم يدعها الله تعالى لتفسير مفسِّر، ولا لقول فقيه؛ بل تولى بيانها بنفسه، فقال: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]. فالواجب علينا أن نجهر بالدعوة إلى دين الله وتوحيده، فإن قبلوا منَّا فالحمد لله، وإن أَبَوْا، فنقول بملء أفواهنا: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا

---

(١) ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق «ديوان محيي الدين بن عربي»، ت: محمد الشقيري. ط: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٥م (ص٢٤٥).

(٢) فصوص الحكم، دار الكتاب العربي (٣٤٥).

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾. وأما التلفيق، والتوفيق، والالتقاء في منتصف الطريق، والبيانات المشتركة، الرخوة، المُضَلِّلة، فليست من سبيل المؤمنين.

وقد ساكن النبي ﷺ في المدينة ثلاث قبائل من اليهود، وكان يدعوهم إلى الإسلام، فيأتي إليهم في كنيسهم، في يوم مِدراسهم، ويقول لهم: «**يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلًا يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه**»[(١)]، فلا ينتدب لذلك إلا رجل واحد! وأتاه نصارى نجران، وأنزلهم في مسجده، ودعاهم إلى توحيد الله ربِّ العالمين، وجادلهم، وجادلوه، فأَبَوْا، خوفًا على امتيازاتهم، ومناصبهم، حتى بلغ الأمر حد المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١]، ولم يلجأ النبي ﷺ إلى ما يُسمى «البيان المشترك»، بإبراز أوجه الاتفاق، وإقصاء أوجه الافتراق، كما يفعل دعاة الحوار اليوم؛ بل كانت دعوته صريحة إلى الدخول في دين الإسلام.

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(٢)]؛ فياللعجب! أن تسمع من بعض المنتسبين إلى الإسلام من يقول: جميع الطرق تؤدي إلى الله، وجميع الأديان صحيحة، سبحانك هذا بهتانٌ عظيم! فلا يحلّ لأحدٍ بعد بعثة محمد ﷺ أن يتدين بغير دين الإسلام الذي بُعث الله به، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، فالواجب أن ندعو الناس جميعًا إلى الدخول في عقد الإسلام، فإن أجابوا فالحمد لله، وإن أَبَوْا فعليهم ما حُمِّلوا، وعلينا ما حُمِّلنا.

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٢٣٩٨٤)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، برقم (١٥٣).

الآيـة الـثـالـثـة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ الصراط المستقيم: هو الدين القويم، والسُّنَّة المحكمة، فلا يجوز الحيدة عنه يَمنة ويَسرة. وليس المراد بالسبل هنا المعاصي؛ لأنَّ المعاصي ليست سُبُلًا، وإنما هي شهوات، والمراد بالسبل هنا: الديانات، والاعتقادات، والأهواء، والبدع، كما سيذكر قريبًا.

✿ ✿ ✿

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال مجاهد: السُّبُل: البدع والشُّبهات(١)



الشرح

السُّبُل التي نهانا الله عن اتِّباعها هي: البدع والشُّبهات؛ لأنَّها تعارض أصل الملة، وليست المعاصي والشهوات. وربما وقع ممن هو على السبيل والسُّنَّة شيء من المعاصي والمحرمات، لكن هذا لا يُخرِجه عن السبيل والسُّنَّة، لا سيما إن تاب وأناب. لكن الخطر، كل الخطر، في البدع والشبهات التي تُضِل صاحبها، وتُخرِجه عن الملة، وقد قال النبي ﷺ: «**وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»(٢)، فسبيل الله وصراطه هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

فوائد الآيات:

١ ـ وجوب الدخول في الإسلام.

٢ ـ بطلان ما سواه من الأديان، وردّها.

---

(١) أخرجه الدارمي في مقدمته، باب في كراهية أخذ الرأي برقم (٢٠٩)، والطبري في تفسيره جامع البيان، ت: شاكر (١٢/٢٢٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩٣)، وأحمد ط. الرسالة برقم (١٢٢٠٨)، وقال محققو المسند: «حديث صحيح بشواهده»، وصححه الألباني.

٣ ـ الخسارة الأخروية لمن لم يدخل في الإسلام، ودخوله النار.

٤ ـ دين الله واحد هو الإسلام.

٥ ـ اليهودية والنصرانية ليست أديانًا لله؛ بل تحريف لما جاء به أنبياء الله.

٦ ـ وجوب الدعوة إلى الإسلام.

٧ ـ بطلان دعوة «توحيد الأديان» و«تقارب الأديان».

٨ ـ أن صراط الله واحد، وما سواه سُبُلٌ متفرقة.

٩ ـ وجوب اتباع صراط الله المستقيم، وتحريم اتباع السُّبُل المخالفة.

١٠ ـ أن السُّبُل المتفرقة هي الأهواء، والملل، والنِّحل، وليست المعاصي والشهوات.



ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**(١) أخرجاه. وفي لفظ: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**(٢).

الشرح

هذان حديثان عظيمان صحيحان، رواهما الشيخان. يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**: «هذا الحديث

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد مُحدَثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود برقم (٩/١٠٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

أصلٌ عظيمٌ من أصول الدين، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أنَّ حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيات**»[١] ميزان للأعمال في باطنها، فكما أنَّ كلَّ عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردودٌ على عامله»[٢]، ويقول النووي ﷺ: «هذا الحديث مما ينبغي أن يُعتنى بحفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به»[٣]، فهذا أصلٌ عظيم ينبغي أن يعتصم به المؤمن.

قوله: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه**» أمرنا: الأمر هو الإسلام، كما قال في الحديث: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ**»[٤]، سواء أحدث حدثًا اعتقاديًا، أو حدثًا عمليًّا. والإحداث: هو الابتداع في الدين على غير مثالٍ سابق.

قوله: «**فهو رد**»؛ أي: مردودٌ على صاحبه. فهو باطلٌ في الدنيا والآخرة.

قوله: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**» أفاد رد البدعة العملية على وجه الخصوص.

وبهذا أقام النبيُّ ﷺ السياج الآمن على هذه الشريعة، فلا مدخل لمبتدع، فكلُّ من أحدث شيئًا في الدين يُقال له: ما الدليل على ما قلت؟ ما الدليل على ما عملت؟ فإذا لم يأتِ بدليلٍ ضربنا بقوله عُرض الحائط. وبهذا صان الله الشريعة، بفضل هذه النصوص التي أبقاها الله للأمة عصمةً لها، يأوون إليها، ويحاكمون، ويقايسون إليها كل نازلة تنزل بهم.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ وجوب الدخول في الإسلام، كما أنزله الله، وبطلان ما سواه.

---

(١) أخرجه البخاري في باب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ برقم (١)، ومسلم في كتاب الإمارة بقوله قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنية**» برقم (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط برقم (١/ ١٧٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٦).

(٤) أخرجه أحمد برقم (٢٢٠١٦).

٢ ـ بطلان البدع والإحداث في الدين.

٣ ـ أن البدعة لا تنفع صاحبها في الدنيا ولا في الآخرة.

٤ ـ أن البدعة تشمل الاعتقاد والقول والعمل.



قال رَحِمَهُ اللهُ:

ﷺ وللبخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قيل: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

الشرح

هذا موافق لقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وهل المراد بدخول الجنة الدخول الأولي، أم المراد الدخول بعد التمحيص من الذنوب؟

هذا يعتمد على صفة الإباء؛ فإن كان الذي أبى، قد أبى الدين من أصله، فإنَّه لا يدخل الجنة قطعًا، ويكون قوله: «**كلُّ أمتي**»؛ أي: أمة الدعوة، وإن كان الذي أبى، وقع منه إباءً في بعض الأوامر والنواهي، بمعنى المعصية، فيكون قوله: «**كلُّ أمتي**»؛ أي: أمة الإجابة، فإنَّه يكون تحت المشيئة والإرادة، إن شاء الله عذَّبه بقدر ذنبه ومآله إلى الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٠).

ولفظ (الأمة) يَرِد على أحد **معنيين**:

١ ـ **أمة الدعوة**: فتشمل كلّ من كان بعده إلى يوم القيامة، كما في حديث أبي هريرة في «صحيح مسلم»: «**والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ**»[١]، فالأمة في هذا الحديث يراد بها أمة الدعوة؛ لأنَّه جعل فيها اليهودي والنصراني.

٢ ـ **أمة الإجابة**: وهم الذين استجابوا للإسلام، ودخلوا في هذا الدين؛ كقوله: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ**»[٢].

۞ فوائد الحديث:

١ ـ وجوب الدخول في الإسلام، لكونه شرطًا في دخول الجنة.

٢ ـ وجوب الطاعة، والرَّد على المرجئة.

٣ ـ إثبات أفعال العباد؛ فعلًا، وتركًا.

٤ ـ شؤم الإباء.

٥ ـ كمال عدل الله.

٦ ـ فضل أمة محمد ﷺ وحسن عاقبتها في الآخرة.



ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ وفي «الصحيح»: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثةٌ: مُلحِدٌ في الحرم، ومُبتغٍ في الإسلام سنَّة جاهلية، ومُطَّلِبٌ دم امرئ مسلم بغير حق ليهريقَ دمه**» رواه البخاري[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته برقم (١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في باب فضل الوضوء، برقم (١٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق برقم (٦٨٨٢).

الشرح

قوله: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة**» خابوا وخسروا! بئس من كان بغيضًا لله تعالى. والعدد لا يدلُّ على الحصر، فربما يكون غيرهم مبغوض عند الله ﷻ؛ بل ربما أشد بغضًا؛ كقوله ﷺ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**» متفق عليه(١). والجمع بين ذلك أن يحمل كل مقالٍ على مقام، فبغض الثلاثة المذكورين في حديث الباب، في مقام الأعمال، وبغض الألد الخصم، في مقام الخصومة ومعاملة الخلق.

وهذا الحديث يدلُّ على إثبات صفة البغض لله ﷻ، وهو حقٌّ يجب الإقرار به؛ فالله تعالى يُحب، ويُبغض، ويرضى ويسخط، ويغضب، ويفرح، كما أخبر عن نفسه في كتابه، وأخبر عنه نبيَّه ﷺ في سنته. والواجب على المؤمن أن يطيب نفسًا، وأن يقرَّ عينًا بخبر الله وخبر رسوله، وأن يعتقد لله المثل الأعلى، فلا يتبادر إلى ذهنه معنًى فاسد، ولا يلتاث قلبه بلوثة التمثيل؛ بل يعتقد أن لله بغضًا حقيقيًّا يليق به سبحانه، لا تلزم عليه لوازم المحدثين. وقد أخبر الله عن نفسه أنَّه يمقت، فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٣٥]، وأخبر ﷻ عن نفسه أنَّه يكره، فقال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]. فيبغض الله هؤلاء الثلاثة:

الأول: ملحدٌ في الحرم: والإلحاد في أصل وضعه في اللغة: الميل، فالمعنى: مائل عما يجب مراعاته من حقوق الحرم، وقد ذكر الله هذا في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ [الحج: ٢٥]، وفسَّر بعضهم الظلم بالشرك، كما فسَّره ابن عباس(٢). وكان عبد الله بن عمرو له فسطاطان: أحدهما في الحلّ، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحلّ، فسُئل عن ذلك، فقال: كنا نحدّث أن

---

(١) أخرجه البخاري في باب قول الله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤]، برقم (٢٤٥٧)، وأخرجه مسلم في باب في الألد الخصم، برقم (٢٦٦٨).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (١٨/ ٦٠١).

من الإلحاد فيه أن يقول الرجل: كلا والله، وبلى والله[١]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أن رجلًا هَمَّ فيه بسيئة، وهو بعدن أبين، لأذاقه الله عذابًا أليمًا»[٢]؛ أي: أنَّ وقوع هذه الإرادة فيه حتى ولو كان المريد خارجه، موجب للعذاب الأليم، وهذا من صون الله لحرمه وبيته.

الثاني: مبتغ في الإسلام سنة جاهلية: وهذا موضع الشاهد؛ لمنافاته الدخول في عقد الإسلام. ومعنى (مبتغٍ)؛ أي: طالبٌ ومحدِثٌ لسنةٍ جاهلية مما ينافي الشرع، كما سيأتي بيانه من كلام شيخ الإسلام.

الثالث: ومُطَّلِبٌ دم امرئ مسلم بغير حق، ليهريق دمه: ومعنى (مُطَّلِب)؛ أي: متطلِّبٌ، وساعٍ في قتل ذلك المسلم، فهو يلاحقه ويتتبعه؛ ليهريق دمه، بغير حل، فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»** متفق عليه[٣]. قال تعالى في الثالث: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].



ثم قال رحمه الله:

❁ قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «قوله: «سُنَّة جاهلية» يندرج فيها كلّ جاهلية مطلقة، أو مقيَّدة؛ أي: في شخص دون شخص، كتابية، أو وثنية أو غيرهما، من كلِّ مخالفةٍ لما جاء به المرسلون»[٤].

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (١٨/ ٦٠٢).
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (١٨/ ٦٠١).
(٣) أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، برقم (٦٨٧٨)، وأخرجه مسلم في باب ما يباح به دم المسلم، برقم (١٦٧٦).
(٤) بنحوه اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٥٩).

الشرح

هكذا ينبغي أن نفهم أنَّ هذا الدين ـ بحمد الله ـ منظومة متكاملة من العقائد والشرائع والآداب والأخلاق، تغنينا عما سواها، فلا نتطلَّب ولا نبحث عن شيءٍ غيرها من مشابهة الكفار ومجاراتهم، وهذا أمرٌ ـ للأسف ـ فرَّط فيه المسلمون كثيرًا حتى صاروا يجارون الكفار في أمورٍ يُستحى من ذكرها، ولا يليق بهم أن يطؤوها، وهي من أمر الجاهلية، والواجب على أهل الإسلام أن يغتبطوا بنعمة الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧]. وإنما يحملهم على محاكاة الكفار وتقليدهم في أعيادهم، ومناسباتهم، ولباسهم، وقصَّاتهم، وكلماتهم، وغير ذلك، قلة إيمان، ورقَّة دين، وضعف شخصية. فالواجب على المؤمن أن يعتز بما منَّ الله تعالى به عليه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فوائد الحديث:

١ ـ وجوب الدخول في عقد الإسلام، واطِّراح الجاهلية.

٢ ـ إثبات صفة البغض لله تعالى، على ما يليق به، وتفاوتها.

٣ ـ وجوب تعظيم حرمات الله في الحرم، وتحريم الإلحاد فيه.

٤ ـ عِظَم جرم الإحداث في الدين، والدعوة بدعوى الجاهلية.

٥ ـ عِظَم جرم قتل امرئ مسلم بغير حق، والسعي في ذلك، سواءٌ قتله أم لم يقتله.

✿ ✿ ✿

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وفي «الصحيح»: عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «يا معشر القرَّاء استقيموا، فإن استقمتم فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا فقد ضللتم ضلالًا بعيدًا»(١).

الشرح

قوله: «يا معشر القرَّاء» المشتغلون بقراءة القرآن وتفسيره، وطلب الحديث وتدوينه.

قوله: «استقيموا»؛ أي: الزموا الاستقامة على السُّنَّة، كما قال الله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قوله: «فإنَّكم إن فعلتم ذلك فقد سبقتم سبقًا بعيدًا» نلتم رتبة عالية، لجمعكم بين العلم والسبيل.

قوله: «فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا» وهي زيغة الحكيم؛ فإن العَالِم إذا زاغ وضل، فضلاله ليس كضلال غيره، فإنَّه يضلُّ بضلاله أمم. فعلى طالب العلم أن يتحرى، ويحتاط، ويضبط لسانه، ويتفكر فيما يأتي وما يذر.



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وعن محمد بن وضَّاح: أنَّه كان يدخل المسجد فيقف على الحِلَق فيقول، فذكره(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٢).

(٢) البدع لابن وضاح برقم (١٢).

الشرح

محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي، أبو عبد الله، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، ورحل إلى المشرق في طلب العلم. مات سنة سبع وثمانين ومائتين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب كتاب «البدع والنهي عنها».

قوله: «أنَّه كان يدخل المسجد، فيقف على الحِلَق»؛ أي: أن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يفعل ذلك. وهذا دليلٌ على أنَّه ينبغي الجهر بالمناصحة لطلاب العلم، وأن يذكر لهم ما ينفعهم، وأن يحذِّرهم مما يضرهم، نسأل الله أن يلزمنا وإياكم كلمة التقوى، والنصح لكل مسلم.

فوائد الأثر:

١ ـ وجوب الاستقامة على الإسلام والسُّنَّة.

٢ ـ فضيلة الجمع بين العلم ولزوم السُّنَّة.

٣ ـ خطورة زيغ العَالِم عن الصراط المستقيم.

٤ ـ فقه حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكمال نصحه للأمة.

٥ ـ مشروعية التحلُّق في المساجد للإقراء والتحديث.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن مسروق أنَّه قال: قال عبد الله يعني: ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ليس عامٌ إلا والذي بعده أشرُّ منه، لا أقول: عامٌ أمطر من عام، ولا عامٌ أخصب من عام، ولا أميرٌ خيرٌ من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يحدِّث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم، فيُهدم الإسلام ويُثلم»[1].

---

(١) البدع لابن وضاح برقم (٧٨)، والمعجم الكبير، الطبراني برقم (٨٤٧٣)، وسنن الدارمي برقم (١٩٤). وسنده جيد.

الشرح

هذا الأثر عن ابن مسعود حسَّنه ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، وهو كلام حكيم، يوافق ما رواه الإمام البخاري في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك: **«لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه»**[٢].

قوله: «ليس عامٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه» وبيَّن مراده بهذا الشر: أنَّه لا يتعلق بالأمطار، والخصب، والولايات، ولكنه يتعلق بأمر الدين المقترن بفناء العلماء الربانيين.

قوله: «لكن ذهاب علمائكم وخياركم، ثم يُحدِّث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم، فيُهدم الإسلام ويُثلم» هذا ما وقع في مطاوي التاريخ، وهو ما أخبر به النبي ﷺ بقوله: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئِلُوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»**[٣]، فهذه هي الخسارة، وهي فقد العلماء، فإن فَقْدَ العلماء من الأرض كانطماس النجوم في السماء، فينتدب للفتيا، والتعليم، أناسٌ جهَّال، فيَضلون ويُضلون.

وقد حرر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ المسألة، فقال: (وَقَدِ اسْتَشْكَلَ هَذَا الْإِطْلَاقُ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ الْأَزْمِنَةِ تَكُونُ فِي الشَّرِّ دُونَ الَّتِي قَبْلَهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِلَّا زَمَنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ بَعْدَ زَمَنِ الْحَجَّاجِ بِيَسِيرٍ، وَقَدِ اشْتَهَرَ الْخَبَرُ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ بَلْ لَوْ قِيلَ: إِنَّ الشَّرَّ اضْمَحَلَّ فِي زَمَانِهِ لَمَا كَانَ بَعِيدًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ شَرًّا مِنَ الزَّمَنِ الَّذِي قَبْلَهُ. وَقَدْ حَمَلَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى الْأَكْثَرِ الْأَغْلَبِ، فَسُئِلَ عَنْ وُجُودِ عُمَرَ بْنِ

---

(١) فتح الباري (١٣/٢١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه برقم (٧٠٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يُقبض العلم برقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه برقم (٢٦٧٣).

عَبْدِ الْعَزِيزِ بَعْدَ الْحَجَّاجِ فَقَالَ: لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ تَنْفِيسٍ. وَأَجَابَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّفْضِيلِ: تَفْضِيلُ مَجْمُوعِ الْعَصْرِ عَلَى مَجْمُوعِ الْعَصْرِ؛ فَإِنَّ عَصْرَ الْحَجَّاجِ كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي الْأَحْيَاءِ، وَفِي عَصْرِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ انْقَرَضُوا، وَالزَّمَانُ الَّذِي فِيهِ الصَّحَابَةُ خَيْرٌ مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي بَعْدَهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «**خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي**»، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَقَوْلُهُ: «**أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

ثُمَّ وَجَدْتُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ التَّصْرِيحَ بِالْمُرَادِ، وَهُوَ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ، فَأَخْرَجَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ الْحَارِثِ بْنِ حَصِيرَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. لَسْتُ أَعْنِي رَخَاءً مِنَ الْعَيْشِ يُصِيبُهُ، وَلَا مَالًا يُفِيدُهُ، وَلَكِن لَا يَأْتِي عَلَيْكُم يَوْم الا وَهُوَ أَقَلُّ عِلْمًا مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى قَبْلَهُ، فَإِذَا ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ، اسْتَوَى النَّاسُ؛ فَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهْلَكُونَ.

وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ ابن مَسْعُودٍ، إِلَى قَوْلِهِ: شَرٌّ مِنْهُ قَالَ: فَأَصَابَتْنَا سَنَةٌ خِصْبٌ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ أَعْنِي، إِنَّمَا أَعْنِي ذَهَابَ الْعُلَمَاءِ. وَمِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْهُ، قَالَ: لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَهُوَ أَشَرُّ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ، أَمَا إِنِّي لَا أَعْنِي أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ، وَلَا عَامًا خَيْرًا مِنْ عَامٍ، وَلَكِنْ عُلَمَاؤُكُمْ، وَفُقَهَاؤُكُمْ، يَذْهَبُونَ، ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلَفًا. وَيَجِيءُ قَوْمٌ يُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، وَفِي لَفْظٍ عَنْهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: وَمَا ذَاكَ بِكَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقِلَّتِهَا، وَلَكِنْ بِذَهَابِ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ يُحْدِثُ قَوْمٌ يُفْتُونَ فِي الْأُمُورِ بِرَأْيِهِمْ، فَيَثْلِمُونَ الْإِسْلَامَ وَيَهْدِمُونَهُ)[١].

۞ فوائد الأثر:

١ ـ وجوب الحفاظ على أصل الدين، بحفظ العلم.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٢١).

٢ ـ فضل العلم والعلماء، وأنهم عصمة للأمة.

٣ ـ خطر أهل الأهواء والآراء والبدع على الدين.

٤ ـ فقه ابن مسعود رضي الله عنه.





باب (٣)

تفسير الإسلام

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب: تفسير الإسلام:

وقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] الآية.

وفي «الصَّحيح»: عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»**(١).

وفيه: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»**(٢).

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، فقال: **«أن تُسلِم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»**(٣)، رواه أحمد.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، برقم (٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده برقم (١٠). ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل برقم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو. والترمذي، ت: شاكر في أبواب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده برقم (٢٦٢٧) من حديث أبي هريرة، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه أحمد ط. الرسالة برقم (٢٠٠٢٢)، وقال محققو المسند: «إسناده حسن من أجل حكيم بن معاوية».

ﷺ وعن أبي قلابة عن رجلٍ من أهل الشام عن أبيه: أنَّه سأل رسول الله ﷺ: ما الإسلام؟ قال: «**أن تُسلم قلبك لله، ويَسلَم المسلمون من لسانك ويدك**» قال: أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**» قال: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت**»[١].

الشرح

التفسير: قال ابن فارس: (الفاء والسين والراء، كلمةٌ واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه)[٢].

والإسلام، كما تقدم: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

قوله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾؛ أي: نصارى نجران، وقد قدموا عليه في السَّنَة العاشرة من الهجرة.

قوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ هذا تفسير الإسلام باعتبار حقيقته، وهو إسلام الوجه لله تعالى، فلا يلتفتُ إلى معبودٍ سواه، فهو وجهتي، وله محبتي، وخشيتي، وعليه توكلي، ورجائي.

فوائد الآية:

١ ـ تفسير الإسلام بحقيقته، وأنه إسلام الوجه لله.

٢ ـ مشروعية المحاجة والمجادلة بالتي هي أحسن لبيان الحق.

٣ ـ التلازم بين الإسلام والاتباع.

---

(١) أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة، برقم (٣٩٢)، والبيهقي في شعب الإيمان في باب الدليل على أن الإيمان والإسلام على الإطلاق عبارتان عن دين واحد، برقم (٢٢)، وعلته ظاهرة.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٨١.

قوله: **«أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» قال: أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت»** هذا تفسير جامع للإسلام.

قوله: **«وفي الصحيح: عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»»** هذا تفسير الإسلام باعتبار المسلم به، وهي أركانه، وخصاله. وذلك إذا ذكر الإسلام مقترنًا بالإيمان؛ فإنَّه يُراد به الأعمال الظاهرة، ويُراد بالإيمان العقائد الباطنة، وهو معنى قول أهل العلم: «إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا»؛ أي: الإسلام والإيمان إذا جمعهما نصٌّ واحد، فالإسلام يُراد به الشرائع الظاهرة، والإيمان يُراد به العقائد الباطنة، كما في حديث جبريل، فقد عرَّف الإسلام بالمباني الخمس، وهي شعائر الإسلام الظاهرة. وعرَّف الإيمان بالعقائد الباطنة: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**. وهكذا في كلِّ نصٍّ يجتمع فيه ذِكر الإسلام والإيمان.

أما إذا ورد لفظ الإسلام منفردًا، أو لفظ الإيمان منفردًا، فإنَّ كلًّا منهما يدلُّ على الدين كله، ظاهره وباطنه، كما في حديث وفد بني عبد القيس: «قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ»** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»»** ففسر الإيمان بالإسلام.

قال شيخ الإسلام: (وَلِهَذَا صَارَ النَّاسُ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ عَلَى «ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ»؛ فَالْمُرْجِئَةُ يَقُولُونَ: الْإِسْلَامُ أَفْضَلُ؛ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْإِيمَانُ. وَآخَرُونَ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ سَوَاءٌ وَهُمُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ، وَحَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ عَنْ جُمْهُورِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْإِيمَانَ أَكْمَلُ وَأَفْضَلُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَهُوَ الْمَأْثُورُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ. ثُمَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ

مَنْ يَقُولُ: الْإِسْلَامُ مُجَرَّدُ الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالُ لَيْسَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا)[١].

۞ فوائد الحديث:

١ ـ تفسير الإسلام بأركانه.

٢ ـ أن الإسلام إذا ذكر مع الإيمان اختص بالشرائع الظاهرة.

قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» هذا من تفسير الإسلام ببعض خصاله، فقوله: «المسلم»؛ أي: المسلم حقًّا. والسلامة من اللسان: ألَّا يغتاب، ولا يقذف، ولا يشتم، ولا يَنِمّ، والسلامة من اليد: ألَّا يضرب، ولا يقتل، ولا يسرق. فهذا من تفسيره ببعض صوره.

قال النووي، ﷺ: (مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يُؤْذِ مُسْلِمًا بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ. وَخَصَّ الْيَدَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ الْأَفْعَالِ بِهَا، وَقَدْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ بِإِضَافَةِ الِاكْتِسَابِ وَالْأَفْعَالِ إِلَيْهَا لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَقَوْلُهُ ﷺ: **«مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»** قَالُوا: مَعْنَاهُ الْمُسْلِمُ الْكَامِلُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ أَصْلِ الْإِسْلَامِ عَنْ مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ بَلْ هذا كما يقال: العلم ما نفع، أو العالِم زَيْدٌ، أَيِ الْكَامِلُ أَوِ الْمَحْبُوبُ، وَكَمَا يُقَالُ: النَّاسُ الْعَرَبُ، وَالْمَالُ الْإِبِلُ، فَكُلُّهُ عَلَى التَّفْضِيلِ لَا لِلْحَصْرِ، وَيَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَعْنَى الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»**، ثُمَّ إِنَّ كَمَالَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِ، مُتَعَلِّقٌ بِخِصَالٍ أُخَرَ كَثِيرَةٍ، وَإِنَّمَا خَصَّ مَا ذَكَرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْحَاجَةِ الْخَاصَّةِ وَاللهُ أَعْلَمُ)[٢].

۞ فوائد الحديث:

١ ـ تفسير الإسلام ببعض خصاله.

٢ ـ أن من معاني الإسلام: السلامة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٤، ٤١٥).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٠).

٣ ـ تحريم العدوان باليد واللسان.

قوله: «**أن تُسلِم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة**» فسَّر الإسلام **بأربع خصال**، تنبَّه على ما سواها:

الخصلة الأولى: إسلام القلب لله: بأن يخلص نيته وإرادته لله؛ محبةً، وخوفًا، ورجاءً.

الخصلة الثانية: تولية الوجه لله: بأن يجعل عمله خالصًا لله، لا رياء فيه ولا سمعة.

الخصلة الثالثة: الصلاة المكتوبة: وهي الصلوات الخمس، وعبَّر بها عن العبادات الخاصة لأنها أشرفها.

الخصلة الرابعة: الزكاة المفروضة: بإخراجها من الأموال الزكوية، بأنصبائها، إلى مستحقيها. وعبَّر بها عن العبادات المالية المتعدية لأنها أشرفها.

فجمع هذا التعريف النبوي إسلام الظاهر والباطن، القاصر والمتعدي.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ تفسير الإسلام بأهم خصاله الظاهرة والباطنة.

٢ ـ أهمية صلاح القلب، وأنه الأساس لصلاح العمل.

٣ ـ الإخلاص في الأعمال، والحذر من الشرك والرياء.

٤ ـ عِظَم شأن الصلاة المكتوبة، وأنها شرط الإسلام في الأعمال.

٥ ـ عِظَم شأن الزكاة المفروضة، وأنها حق الإسلام في المال.

قوله: «**أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك**»، قال: أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**» قال: وما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت**» للحديث تتمة. قَالَ: فَأَيُّ الْإِيمَانِ

أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْهِجْرَةُ**»، قَالَ: وَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَهْجُرَ السُّوءَ**»، قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ**»، قَالَ: وَمَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُجَاهِدَ، أَوْ** قَالَ: **تُقَاتِلَ، الْكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ، وَلَا تَغُلَّ، وَلَا تَجْبُنَ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِإِصْبَعَيْهِ: «**ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، أَلَا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا، قَالَهَا ثَلَاثًا، حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ، أَوْ عُمْرَةٌ**»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَعَلَ الْإِيمَانَ خُصُوصًا فِي الْإِسْلَامِ، وَالْإِسْلَامَ أَعَمَّ مِنْهُ، كَمَا جَعَلَ الْهِجْرَةَ خُصُوصًا فِي الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانَ أَعَمَّ مِنْهَا، وَجَعَلَ الْجِهَادَ خُصُوصًا مِنَ الْهِجْرَةِ، وَالْهِجْرَةَ أَعَمَّ مِنْهُ. فَالْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَهَذَا دِينُ اللهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَهُ، لَا مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَلَا مِنَ الآخرين، وَلَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ مَعَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيْنَا إِلَّا بِمَا أَمَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ، لَا بِمَا يُضَادُّ ذَلِكَ، فَإِنَّ ضِدَّ ذَلِكَ مَعْصِيَةٌ. وَقَدْ خَتَمَ اللهُ الرُّسُلَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَا يَكُونُ مُسْلِمًا إِلَّا مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ، بِهَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانُ فِي الْإِسْلَامِ. فَمَنْ قَالَ: الْإِسْلَامُ الْكَلِمَةُ[٢]، وَأَرَادَ هَذَا فَقَدْ صَدَقَ. ثُمَّ لَا بُدَّ مِنَ الْتِزَامِ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَالْمَبَانِي الْخَمْسِ. وَمَنْ تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا نَقَصَ إِسْلَامُهُ بِقَدْرِ مَا نَقَصَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «**مَنِ انْتَقَصَ مِنْهُنَّ شَيْئًا فَهُوَ سَهْمٌ مِنَ الْإِسْلَامِ تَرَكَهُ**»)[٣].

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (١/ ٤٠٢).

(٢) قال شيخ الإسلام: (قَالَ الزُّهْرِيُّ: الْإِسْلَامُ الْكَلِمَةُ. وَعَلَى ذَلِكَ وَافَقَهُ أَحْمَد وَغَيْرُهُ، وَحِينَ وَافَقَهُ لَمْ يُرِدْ أَنَّ الْإِسْلَامَ الْوَاجِبَ هُوَ الْكَلِمَةُ وَحْدَهَا؛ فَإِنَّ الزُّهْرِيَّ أَجَلُّ مَنْ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا أَحْمَد لَمْ يُجِبْ بِهَذَا فِي جَوَابِهِ الثَّانِي خَوْفًا مِنْ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ هُوَ إِلَّا الْكَلِمَةَ)، مجموع الفتاوى (٧/ ٤١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٩، ٢٧٠).

فوائد الحديث:

١ ـ تفسير الإسلام بأهم خصاله الظاهرة والباطنة.

٢ ـ أن الإيمان أخص من الإسلام وأفضله، خلافًا للمرجئة الذين يرون أن الإسلام أفضل من الإيمان.

٣ ـ أن الإيمان عند الاقتران بالإسلام يُراد به العقائد الباطنة.





باب (٤)

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ باب: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]:

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجيء الأعمال يوم القيامة فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الصدقة، فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام، فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام، فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطي، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾**»(١)، رواه أحمد.

❁ وفي «الصحيح»: عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢)، رواه الإمام أحمد.

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٨٧٤٢)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود (١٠٧/٩)، ومسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٢٥٤٧٢).

الشرح

الحديث الأول: رواه الإمام أحمد، لكن إسناده ضعيف، وفي متنه نكارة، وقد اشتغل بعض الشراح بتوجيه معانيه بنوع تكلف، ولا محوج لذلك، وتغني عنه الآية المترجم بها للباب، وتقدم الكلام عنها.

الحديث الثاني: حديث عائشة رضي الله عنها: وقد تقدم الكلام عليه أيضًا في الباب الثاني.

وقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ شديدي التحرُّز والتحسُّس من البدع، فإذا رأوا بادرة بدعة بادروا بنبذها ونفيها، ومن أوضح الأمثلة على ذلك وأجلاها، ما رواه الآجري، وغيره عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عِسْلٍ، قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رضي الله عنه فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ، فَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ تَفْسِيرِ ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢﴾ [الذاريات: ١، ٢] اسْتَحَقَّ الضَّرْبَ، وَالتَّنْكِيلَ بِهِ، وَالْهِجْرَةَ؟! قِيلَ لَهُ: لَمْ يَكُنْ ضَرْبُ عُمَرَ رضي الله عنه لَهُ بِسَبَبِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا تَأَدَّى إِلَى عُمَرَ مَا كَانَ يَسْأَلُ عَنْهُ مِنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرَاهُ، عَلِمَ أَنَّهُ مَفْتُونٌ، قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، وَعَلِمَ أَنَّ اشْتِغَالَهُ بِطَلَبِ عِلْمِ الْوَاجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ أَوْلَى بِهِ، وَتَطَلُّبُ عِلْمِ سُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْلَى بِهِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مُقْبِلٌ عَلَى مَا لَا يَنْفَعُهُ، سَأَلَ عُمَرُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُمَكِّنَهُ مِنْهُ، حَتَّى يُنَكِّلَ بِهِ، وحَتَّى يُحَذِّرُ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ رَاعٍ يَجِبُ عَلَيْهِ تَفَقُّدُ رَعِيَّتِهِ فِي هَذَا، وَفِي غَيْرِهِ، فَأَمْكَنَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ. وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: سَيَكُونُ أَقْوَامٌ

يُجَادِلُونَكُمْ بِمُتَشابَهِ الْقُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى[(١)].

فهذه السُّنَّة الراشدية العمرية نوعٌ من «الحَجْر الصحي» على أهل الأهواء، ومتبعي المتشابه، فإن خطرهم على الناس أعظم من خطر الجرائيم والفيروسات، التي تتخذ الدول حيالها حجرًا صحيًا، وتوزع الأمصال واللقاحات، لمنع انتشارها. فهؤلاء أحق بالحجر، والمدافعة، والممانعة؛ لأنهم يُفْسِدون عقائد الناس، فلا يجوز أن يُمكَّنوا من اعتلاء المنابر، ونشر غثائهم، وإلحادهم، وكفرهم، وشكوكهم، لهذا طهَّر عمر رضي الله عنه مدينة رسول الله ﷺ؛ بل وجزيرة العرب من هذا الرجل، ونفاه إلى الكوفة، وكتب إلى أبي موسى الأشعري، أن لا يكلِّمه أحد، كما روى اللالكائي عن ابْنُ زُرْعَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ صَبِيغَ بْنَ عِسْلٍ بِالْبَصْرَةِ، كَأَنَّهُ بَعِيرٌ أَجْرَبُ، يَجِيءُ إِلَى الْحِلَقِ، فَكُلَّمَا جَلَسَ إِلَى حَلَقَةٍ قَامُوا وَتَرَكُوهُ، فَإِنْ جَلَسَ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْرِفُونَهُ نَادَاهُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ الْأُخْرَى: عَزْمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ»[(٢)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (قصة صبيغ بن عسل التميمي مع عمر مشهورة وكأنه والله أعلم إنما ضربه لما ظهر له حاله أن سؤاله سؤال استشكال لا سؤال استرشاد واستدلال، كما قد يفعله كثير من المتفلسفة الجهال والمبتدعة الضلال، فنسأل الله العافية في هذه الدنيا وفي المآل)[(٣)].

والمقصود من هذا الباب أن الإحداث في الدين، نوعٌ من ابتغاء غيره، فعاقبته الرد وعدم القبول.

---

(١) الشريعة للآجري (١/ ١٦٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (ص٦٣٥)، ومسند الدارمي برقم (١١٤٦)، ومسند الفاروق، لابن كثير (٢/ ٦٠٦)، والحجة في بيان المحجة (١/ ٢١٠)، والاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ابن عبد البر (٥/ ٦٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦٣٦).

(٣) مسند الفاروق، لابن كثير (٢/ ٦٠٦، ٦٠٧).



باب (٥)

وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه(١)

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ باب: وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه:

❁ وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية [النحل: ٨٩].

❁ روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنَّه رأى في يد عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورقة من التوراة، فقال: «**أمتهوِّكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حيًّا واتبعتموه وتركتموني ضللتم**»(٢). وفي رواية: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتِّباعي»(٣). فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا(٤).

الشرح

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب: وجوب الاستغناء بمتابعته**» الضمير في قوله:

---

(١) جاء في النص المحقق في مجموعة أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (باب وجوب الاستغناء بمتابعته) وعلق عليه عبارة «يعني القرآن»، وقال محققوه: هكذا ورد في مخطوطة الشيخ محمد بن عبد اللطيف. وفي مخطوطة عبد الرحمٰن الحصين: (وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه)، وفي مخطوطة المفتي: (وجوب الاستغناء بمتابعته عن كل ما سواه).

(٢) أخرجه أحمد ط. الرسالة، برقم (١٥١٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٨٣٦). ولم نجده في النسائي، كما قال المصنف.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/٣٤٧)، والبغوي في شرح السُّنَّة برقم (١٢٦).

(٤) شعب الإيمان برقم (٤٨٣٦)، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني برقم (١٠١٦٤).

«**بمتابعته**» يعود إلى غير مذكور، وهو القرآن، كما تدل النصوص التي أوردها المصنف، وقد وقع في بعض النسخ تفسير الضمير بـ«الكتاب»، وفي بعضها: «يعني القرآن». والمقصود: أنَّه يُستغنى بالقرآن العظيم عما سواه. وعلى تقدير أن العبارة «**بمتابعته الكتاب**» فالتقدير: بمتابعة المسلم الكتاب.

والمراد بالاستغناء: الاكتفاء، فلا يحتاج لسواه. وقد ورد في الحديث: «**ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن**»[١]، قال بعض شرَّاح الأحاديث: إن معنى: (يتغنى) يستغني[٢]، فيجب أن يستغني بالقرآن.

وحمله أكثرهم على القراءة بلحنٍ وترتيل[٣]. قال النووي: «والصحيح: أنه من تحسين الصوت، ويؤيده الرواية الأخرى: «**يتغنى بالقرآن يجهر به**»[٤][٥].

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ القرآن العظيم متضمن لبيان كل شيء، لكن لا يلزم من ذلك أن يتضمن بيان التفاصيل في مختلف الفنون والعلوم، وإنما يتضمن القواعد، والأسس، والأصول التي يندرج تحتها ما لا حصر له من الفروع. مثال ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، هذه آية جامعة، فيها أصلٌ عظيم، وحافزٌ للمسلمين على اتخاذ جميع أسباب القوة التي يتمكنون بها من نشر الدين.

- قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الملك: ١٣] برقم (٧٥٢٧).

(٢) فسَّره بذلك سفيان بن عيينة. ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (١٠/ ٢٥٨)، وفتح الباري لابن حجر (٩/ ٦٨).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٣٦٨)، وشرح النووي على مسلم (٦/ ٧٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن برقم (٧٩٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (٦/ ٧٩).

[المائدة: ٢]، فكل برٍّ وتقوى يندرج تحت هذه الآية، وكل إثمٍ وعدوانٍ يندرج تحت الجملة الثانية.

فالمقصود أنَّه لا يدع شاذَّة ولا فاذَّة إلا وقد بيَّنها، والسُّنَّة مكمِّلة للقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: ٦٤]، وقد قال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا محمد ﷺ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا»[(١)]، ثم تجد بعض السفهاء، وقاصري النظر، وعديمي العقل، والعلم، يقول قائلهم: ما دخل الدين في كذا؟ وما شأن الدين في كذا؟ وكأنَّما الدين في نظره، يقبع في زاوية من زوايا الحياة! كلا! الدين يملأ جميع مناحي الحياة ويستوعبها، فلا يوجد شيء من أمور الحياة إلا وقد بيَّنه، ولا يحلُّ أنَّ نستعيض عن دين الله الحق، الصافي، بما اختلط وتكدر وحُرِّف.

وأما قصة عمر رضي الله عنه فقد رواها جمعٌ من المحدثين، بسياقاتٍ مختلفة، وحسَّنها الألباني[(٢)]، يجمعها حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: (أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه رَسُولَ اللهِ ﷺ بِنُسْخَةٍ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ)[(٣)]، (أَصَبْتُهَا مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَعْرِضُهَا عَلَيْكَ؟)[(٤)]، («فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، فَجَعَلَ عُمَرُ يَقْرَأُ، «وَوَجْهُ رَسُولِ اللهِ يَتَغَيَّرُ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، أَمَا تَرَى وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ، وَغَضَبِ رَسُولِهِ، رَضِينَا بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا)[(٥)] (فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٢١٣٦١)، وقال محققو المسند: «حديث حسن».
(٢) انظر: الإرواء (١٥٨٩)، صَحِيح الْجَامِع (٥٣٠٨)، الصَّحِيحَة (٣٢٠٧)، المشكاة (١٧٧).
(٣) أخرجه الدارمي (٤٣٥).
(٤) أخرجه أحمد برقم (١٨٣٦١).
(٥) أخرجه أحمد برقم (١٥٩٠٣)، والدارمي برقم (٤٣٥).

«أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً»(١)، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَصْبَحَ مُوسَى فِيكُمْ فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ»(٢)، «عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيًّا وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي»(٣) «مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(٤)، «أَنَا حَظُّكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ»(٥)، «لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ»(٦).

وقد ذكر الله ﷻ في سورة المائدة هذه الكتب الثلاثة على نسق، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، ثم ثنّى فقال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦]، ثم ثلّث فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥٠].



---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٥).
(٢) أخرجه أحمد (١٥٩٠٣).
(٣) أخرجه الدارمي (٤٣٥).
(٤) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٥).
(٥) أخرجه أحمد برقم (١٥٩٠٣، ١٨٣٦١).
(٦) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٥).



باب (٦)

ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ باب: ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام:

ﷺ وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨].

ﷺ عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**آمركم بخمسٍ، الله أمرني بهنَّ: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإنَّه من فارق الجماعة قِيدَ شبرٍ فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنَّه من جُثا جهنم**» فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلَّى وصام؟ قال: «**وإن صلَّى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم المسلمين والمؤمنين عباد الله**»[1]، رواه أحمد والترمذي وقال: «حديث حسن صحيح».

ﷺ وفي «الصحيح»: «من فارق الجماعة قِيد شبرًا، فمات فميتته جاهلية»[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة برقم (٢٨٦٣)، وصححه الألباني. وأحمد ط. الرسالة برقم (١٧١٧٠)، وقال محققو المسند: «حديث صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**» برقم (٧٠٥٤)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر برقم (١٨٤٩).

ﷺ وفيه: «**أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم؟!**»[(١)].

ﷺ قال أبو العباس: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن؛ من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية؛ بل لما اختصم مهاجري وأنصاري؛ فقال المهاجري: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**»، وغضب لذلك غضبًا شديدًا[(٢)] انتهى كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ.

الشرح

قال المصنف رحمه الله: «**باب: ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام**» الدعوى، والدعوة، والدعاية، بمعنى واحد. وفي كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل: «**فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ**»[(٣)]. ونقيض دعوى الإسلام دعوى الجاهلية، وهي كل دعوة سوى دعوة الإسلام؛ كالمذاهب الباطلة، أو العصبية القبلية، أو القومية، أو الوطنية، ما أشبه ذلك من الأمور المنافية للإسلام.

قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ «المسلمون»: اسم ومسمى، وليس مجرد اسم كالختم والعنوان على الإنسان، لا حقيقة تحته؛ بل يجب أن يكون اسمًا على مسمى، فيكون حامل هذا الاسم ممتثلًا، مطبقًا، لما تضمنه هذا الاسم الشريف. والراجح من كلام المفسرين أنَّ معنى: ﴿وَفِي هَٰذَا﴾؛ أي: القرآن[(٤)]؛ فالله ﷻ قد سمَّى أمة محمد مسلمين في الكتب السابقة، وسمَّاهم مسلمين في هذا الكتاب.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٦/ ٥٦).

(٢) بنحوه في السياسة الشرعية (ص١١٣).

(٣) أخرجه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي، برقم (٧)، وأخرجه مسلم في باب كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، برقم (١٧٧٣).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (١٨/ ٦٩٢)، وتفسير ابن أبي حاتم برقم (١٤٠٣٩)، والوجيز للواحدي (ص٧٤٢)، وتفسير السمعاني (٣/ ٤٥٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا هو الصواب؛ لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ثم حثَّهم، وأغراهم على ما جاء به الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل، ثم ذكر مِنَّتُه تعالى على هذه الأمة بما نوَّه به من ذكرها، والثناء عليها في سالف الدهر، وقديم الزمان، في كتب الأنبياء، يُتلى على الأحبار والرهبان، فقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا القرآن»[1].

ولا ريب أنَّ أمة محمد ﷺ موصوفة في الكتب السابقة، كما أخبر الله ﷻ في سورة الفتح بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩]، إلى آخر الآية، فينبغي لأهل الإسلام أن يعتزوا بهذه الصفة، وأن ينتموا إليها، وأن يحققوها لفظًا ومعنًى.

❁ **فوائد الآية:**

١ ـ أهمية الأسماء الشرعية، والمحافظة عليها، وعدم استبدالها بغيرها، والخروج عن حدِّها.

٢ ـ أن اسم «المسلمين» عَلَمٌ ووصف، وأنه اسمٌ قديم.

٣ ـ عناية الله بعباده.

قوله: «آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع والطاعة»؛ أي: السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف، كما قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره»**[2].

قوله: «والجهاد، والهجرة، والجماعة» هذه من مقاصد الإسلام التي لا يتم إلا بها:

---

(١) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٥/٤٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية برقم (٧١٤٤). ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية... برقم (١٨٣٩).

ـ الجهاد: في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا. ويكون بالقلب واللسان والجوارح.

ـ الهجرة: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، لإعزاز الدين، وتكثير سواد المسلمين.

ـ الجماعة: هي اجتماع الناس على إمامٍ واحد، وعدم شق عصا الطاعة عليه.

قوله: «فإنَّه من فارق الجماعة قِيد شبر» (قِيد) بالكسر؛ أي: قدر.

قوله: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»؛ أي: من فارق جماعة المسلمين، وخرج عليهم، فقد ضل وتاه، والربقة: ما يوضع في رقبة الدابة، من أجل حفظها، وربطها، حتى لا تذهب وتضيع، فإذا انفلتت تلك الربقة من عنقها ضلت عن صاحبها، فيكون الذي خرج من سياج الجماعة، بمثابة تلك الدابة لما خرجت، فصارت عرضة للضياع والتلف.

قوله: «إلا أن يرجع»؛ أي: إلا أنَّ يعود، ويتوب، ويدخل في عقد المسلمين وجماعتهم.

قوله: «ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنَّه من جُثا جهنم» هذا هو موضع الشاهد. والجُثى، والجُثا: جمع جثوة، قال ابن فارس: (الجيم والثاء يدل على تجمع الشيء)[١]، وقال ابن الأثير: (الجُثا: جمع جُثوة، بالضم، وهو الشيء المجموع... وتروى هذه اللفظة: جُثِيٌّ، بتشديد الياء، جمع جاث، وهو الذي يجلس على ركبتيه... ومن الأول حديث عامر: «رأيت قبور الشهداء جُثًا»؛ يعني: أتربة مجموعة، والحديث الآخر: «فإذا لم نجد حجرًا جمعنا جُثوة من تراب»، وقد تكسر الجيم وتفتح، ويجمع الجميع: جُثًا، بالضم والكسر)[٢]. ووجه الشبه أن من دعا بدعوى الجاهلية فكأنه جاث فِي النار؛ كالجثوة من التراب على الأرض. ودعوى الجاهلية: هي الدعوة إلى

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٨٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٣٩).

القومية، والعصبية القبلية، والأفكار الضالة، والمذاهب الردية. فكلُّ دعوة، سوى دعوة الإسلام، فهي من جُثا جهنم.

فينبغي لأهل الإيمان أن يحرروا ولاءهم لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، فلا يجوز الاعتزاء بعزاء الجاهلية، ولا يجوز الانتماء إلى أي رابطة سوى رابطة الدين والملة، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وكما قال نبيّه ﷺ: «**وكونوا عباد الله إخوانًا**»(١).

قوله: «فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلَّى وصام؟ قال: «وإن صلَّى وصام» فعلم بذلك أن صلاته وصيامه لا يشفعان لدعاة الجاهلية من دخول النار.

قوله: «فادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم المسلمين والمؤمنين، عباد الله» فهذه هي هُويتك ـ أيها المؤمن ـ فلا تبحث عن هُوية سواها. وعلى طلبة العلم أن يُحذِّروا الناس من جميع الانتماءات التي تؤدي إلى تشقيق المسلمين وتفرقتهم، وإثارة النعرات بينهم، والتعصبات الجاهلية. وبعض السفهاء يوغر الصدور، وينشر التنابز بالألقاب بين الناس؛ إما بسبب أعراقهم، وأصولهم، وقبائلهم، وإما بسبب بلدانهم، وإما بسبب ألوانهم، أو غير ذلك من الأسباب. فكل هذا من جُثى جهنم، فلا يجوز أن تكون العصبية إلا للدين والملة، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر برقم (٦٠٦٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر برقم (٢٥٥٩).

﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]، فينبغي أن يكون التحزُّب لله، وكل حزبية سواه فهو باطل.

فوائد الحديث:

١ ـ أن الخروج عن الجماعة خروجٌ عن الإسلام.

٢ ـ أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى بل يأتمر بأمر ربه.

٣ ـ عظم شأن هذه الخصال الخمس.

٤ ـ أن الدعاء بدعوى الجاهلية من موجبات النار، وإن صلى وصام.

٥ ـ وجوب الدعوة بدعوى الإسلام، وعدم الاستعاضة عنها بمذاهب، وأفكار، وأحزاب، وعصبيات.

قوله: «وفي الصحيح» مراده في «الصحيحين». وقد تقدم تخريجه.

قوله: «من فارق الجماعة قِيد شِبر» قال بعض الشراح: إنَّما قصد بقوله: «شبر» التقليل، ولو فارق الجماعة أقل من شبر فميتته ميتة جاهلية.

قوله: «فمات فميتته جاهلية»؛ أي: أنَّه مات كموت أهل الجاهلية الذين لم يكن لهم إمام ولا جماعة، وإنَّما هم فوضى يغزو بعضهم بعضًا، وينهب بعضهم بعضًا. وقد قيل:

لا يَصْلحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا[(١)]

قال ابن بطال رحمه الله: «في هذه الأحاديث حجة في ترك الخروج على أئمة الجَور، ولزوم السمع والطاعة لهم. والفقهاء مجمعون على أن الإمام المتغلّب، طاعته لازمة، ما أقام الجمعات والجهاد، وأن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدَّهْماء»[(٢)].

---

(١) البيت للأفوه الأودي في نهاية الأرب في فنون الأدب (٣/ ٦٤)، والعقد الفريد (١/ ١١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٨).

۞ فوائد الحديث:

١ ـ أهمية الجماعة، وتحريم الخروج عن دعوى الإسلام.

٢ ـ الحذر من الفرقة ولو بالشيء اليسير.

٣ ـ أن الخروج والفوضى من سِمات أهل الجاهلية.

٤ ـ أن الأعمال بالخواتيم.

٥ ـ أن «الجاهلية» وصفٌ متجدد، لا مرحلة تاريخية مندثرة.

قوله: «وفيه: **«أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم؟!»** «لهذه المقولة منه ﷺ قصة: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا، عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاللهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ. فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ اذْكُرْ يَوْمَ بُعَاثَ، وَمَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ... فَفَعَلَ. فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَتَنَازَعُوا، وَتَفَاخَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيَّيْنِ عَلَى الرُّكَبِ، أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ، مِنَ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، أَحَدُ بَنِي سَلِمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً، فَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا، مَوْعِدُكُمْ الظَّاهِرَةُ ـ وَالظَّاهِرَةُ: الْحَرَّةُ ـ السِّلَاحَ السِّلَاحَ. فَخَرَجُوا إِلَيْهَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ، حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللهَ اللهَ، أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ! بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَعَرَفَ**

الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ»، فَبَكَوْا، وَعَانَقَ الرِّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللهِ شَأْسِ بْنِ قَيس. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ، وَمَا صَنَعَ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٨ ـ ٩٩]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾**[1] [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٢].

ويشبه هذا، ما رواه جَابِر رضي الله عنه، في «الصحيحين»، قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟** ثُمَّ قَالَ: **مَا شَأْنُهُمْ؟**» فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**»[2].

قوله: «قال أبو العباس: كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن؛ من

---

(١) سيرة ابن هشام، ت: السقا (١/٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون: ٦] برقم (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا رقم (٢٥٨٤)، وتفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر برقم (١٦٩٧٤).

نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية... إلخ»
أبو العباس هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد نقل عنه المصنف هذا القول بالمعنى، تحت تفسير الحديث السابق، فجعل شيخ الإسلام الخروج عن دعوى الإسلام والقرآن، من أنواع الدعاوى، من عزاء الجاهلية.





باب (٧)

وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

۞ باب: وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه:

۞ وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ...﴾ [النساء: ٦٠] الآية.

۞ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] الآية.

۞ قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: تبيضُّ وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والاختلاف(١).

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، كان في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢). وهو في حديث معاوية عند أحمد، وأبي داود،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٩٥٠، ٣٩٥١).

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم =

وفيه: «**أنَّه سيخرج من أمتي قوم تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عِرق ولا مَفصِل إلا دخله**»[١].

ﷺ وقد تقدم قوله ﷺ: «**ومبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية**»[٢].

ﷺ فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصًا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي». يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة! رواه الترمذي. ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه، لكن ليس فيه ذكر النار[٣].

الشرح

هذا باب حافل، مصدق لما تقدم قبله من أبواب، جامع بين قضيتين متلازمتين: الدخول في الإسلام، والانخلاع عما سواه. أورد فيه المصنف ثلاث آيات، وثلاثة أو أربعة أحاديث:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ «كافة»؛ أي: جميعًا، وأصل الكف: ما يكف الشيء من آخره، مثل كُفَّة القميص أو الثوب لأنها تمنعه من الانتشار. وأما «السلم» فقيل: هو الإسلام، وقيل: الطاعة، والثاني يؤول إلى الأول. وفي توجيه الأمر **قولان للمفسرين:**

= (٢٦٤١)، وأخرجه أبو داود في السُّنَّة، باب شرح السُّنَّة، برقم (٤٥٩٦)، وابن ماجه في الفتن، باب افتراق الأمم، برقم (٣٩٩١)، وأحمد برقم (٨٣٩٦). قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه. وحسنه الألباني.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب شرح السُّنَّة برقم (٤٥٩٧)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٦٩٣٧)، وقال محققو المسند: «إسناده حسن» وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من طلب دم امرئ بغير حق برقم (٦٨٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤٠) وقال الألباني: «حسن صحيح».

أحدهما: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام، باعتبار كافة وصف للسلم.

الثاني: ادخلوا جميعكم في الإسلام، باعتبار كافة وصف للداخلين في السلم.

فالمراد في القول الأول: أن يدخل في الإسلام كله، ولا يبعِّضه، ولا يأخذ ما يروق له ويدع ما لا يروق له؛ كمن قال الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١]؛ أي: جعلوه أجزاء وأعضاء. فالواجب أن يقبل الإنسان الدين كله، ولا يتخيَّر منه ما يوافق هواه وقناعاته فقط؛ بل مقتضى الإيمان أن يقبله كله، ويدخل في عقده دون مماكسة. ولما جاء وفد من ثقيف، وأرادوا أن يسلموا، قالوا: نبايعك على كل شيء، إلا الصلاة، فإننا نراها دناءة! يظنون أنَّ وضع الجبهة في الأرض غير لائق، فقال ﷺ: «**لا خير في دينٍ ليس فيه ركوع**»[(١)]، وأبى أن يبايعهم حتى يقروا بالصلاة، فليس لأحدٍ أن يرفض شيئًا من الدين، نعم قد لا يفعله تهاونًا وكسلًا، فهذا لا يخرجه من الدين، إلا الصلاة، فإنَّ الصلاة عمود الدين، من تركها ولو تهاونًا وكسلًا فالصحيح: أنَّه يكفر كفرًا مخرجًا عن الملة. وقد جاء عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[(٢)].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ نزلت هذه الآية في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نرتفع إلى محمد ﷺ، وقال الآخر: نرتفع

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر الطائف برقم (٣٠٢٦)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٧٩١٣)، وقال محققو المسند: «رجاله ثقات رجال الصحيح»، لكن ضعَّفه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر، في أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة برقم (٢٦٢٢) وصححه الألباني.

إلى كعب بن الأشرف[١]، وفي بعض الروايات: إلى كاهن بني فلان[٢]، ففضح الله بهذه الآيات أولئك الذين يتظاهرون بالدخول في عقد الإسلام، ثم هم يأبونه حَكَمًا وقاضيًا، ويرتفعون إلى غيره، فهذا دليلٌ على نكرانهم، وعدم دخولهم في عقد الدين؛ ولهذا عبر عنهم بأنهم «يزعمون» وهي تشير غالبًا، إلى التخوين، والتشكيك. و«الطاغوت» كما عرَّفه ابن القيم: «كلُّ ما تجاوز به العبد حدَّه؛ من معبود، أو متبوع، أو مطاع»[٣].

وتتمة الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦١ - ٦٢]، فتلخَّص من حالهم جملة أوصاف:

- كثرة المزاعم الباطلة، والدعاوي الجوفاء، والتستر بذلك.
- الميل والنزوع للتحاكم إلى الطواغيت، والرغبة عن حكم الشريعة.
- حصول العلم المسبق، بالأمر بالكفر بالطاغوت.
- بُعد ضلالهم بسبب استجابتهم لمراد الشيطان.
- الصدود والإعراض والاستنكاف عن حكم الشريعة.
- التقلُّب والنفاق والتلوُّن بحسب ما يقتضيه الحال.
- كثرة الأيمان والمعاذير الكاذبة.
- دعوى الإحسان والتوفيق بين المصالح.

وقد طبق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا التوصيف القرآني للمنافقين على جماعة المتكلمين، الذين يزعمون الإيمان بالكتاب والسُّنَّة، ثم هم يعتمدون المقاييس العقلية الإغريقية، من المنطق، والفلسفة، وعلم الكلام المتولِّد منهما، ويُعرِضون عن طريقة السلف التي تعتمد الكتاب والسُّنَّة، وإذا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر برقم (٩٧٩٨).
(٢) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر برقم (٩٨٩١).
(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤٠).

قيل لهم: تعالوا إلى ناطق الكتاب، وصحيح السُّنَّة، أشاحوا بوجوههم، وقالوا: أنتم حشوية، ونوابت، وحملة أسفار، وأخذوا يسخرون من أهل السُّنَّة والحديث، وينبزونهم بألقاب السوء، ثم إذا نُزل بساحتهم، وأُقيمت عليهم الحجة، وافتضح أمرهم وضلالهم، زعموا أنهم يريدون التوفيق بين العقل والنقل، ونحو ذلك من الدعاوى.

وهذا التوصيف القرآني للمنافقين، ينطبق أيضًا على جماعة العَلمانيين والليبراليين، المنتسبين إلى المسلمين؛ فهم لا يرفعون رأسًا بشريعة الله؛ بل يعتقدون في قرارة أنفسهم أنَّها غير صالحة للتطبيق، وأنَّ الشريعة الإسلامية لا تناسب العصر الحديث، ثم إذا دُعوا إلى الله ورسوله أشاحوا بوجوههم، وازدروا من يدعوهم ونبزوهم بألقاب السوء من «الرجعية» و«الأصولية» و«الظلامية» و«الإرهاب»! حتى إذا ما أُقيمت عليهم الحجة، وصيح بهم من كل واد، أخذوا يتعلَّلون بالتعليلات الباردة، ويقولون: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: ٦٢]، كدعوى: الموائمة بين الأصالة والحداثة، ودعوى الوسطية، ودعوى التوفيق بين السياسة والشريعة، ودعوى تحسين صورة الإسلام! ونحو ذلك من زُخْرُفِ القول، وبهرج العمل.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ هذا ذمٌّ لأهل التفرُّق في أصل الدين، لا في فروعه. وقد قيل: إنهم أهل الكتاب، وقيل: اليهود خاصة، وقيل: أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ فَارَقَ دِينَ اللهِ، وَكَانَ مُخَالِفًا لَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَشَرْعُهُ وَاحِدٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا افْتِرَاقَ، فَمَنِ اخْتَلَفَ فِيه ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الروم: ٣٢]؛ أَيْ: فِرَقًا كَأَهْلِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ ـ وَهِيَ الْأَهْوَاءُ وَالضَّلَالَاتُ ـ فَاللهُ قَدْ بَرَّأَ رَسُولَهُ مِمَّا هُمْ فِيهِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ

وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشُّورَى: ١٣]، وَفِي الْحَدِيثِ: «**نَحْنُ مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ**». فَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، مِنْ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ الرَّسُولِ الْمُتَأَخِّرِ، وَمَا خَالَفَ ذَلِكَ فَضَلَالَاتٌ، وَجَهَالَاتٌ، وَآرَاءٌ، وَأَهْوَاءٌ، الرُّسُلُ بُرَآء مِنْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾)[1].

قوله: «قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: **تبيضُّ وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والاختلاف».**

ذلك يوم القيامة. وقد دلَّت تتمة الآية بعد، والآية بعدها على أصحاب تلك الوجوه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ۝١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]، وقد قيل في أصحاب الوجوه المسودَّة خمسة أقوال: عموم الكفار، اليهود، المنافقون، الحرورية، أهل الأهواء والبدع. وهذا الأخير هو قول ابن عباس.

قال السعدي، رحمه الله: (﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾: وهي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله. ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾: وهي وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، هؤلاء اسودَّت وجوههم بما في قلوبهم من الخِزْي، والهوان، والذِّلة، والفضيحة، وأولئك ابيضَّت وجوههم، لما في قلوبهم من البهجة، والسرور، والنعيم، والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝١١﴾ [الإنسان: ١١] نضرة في وجوههم، وسرورًا في قلوبهم، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧﴾ [يونس: ٢٧])[2].

---

(١) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٣/ ٣٧٧).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمٰن (ص١٤٢).

فوائد الأثر:

١ ـ وجوب الدخول في الإسلام كله، كما شرعه الله، وعدم الابتداع.

٢ ـ حُسن عاقبة أهل التوحيد، والاتباع، والائتلاف، وشؤم عاقبة أهل الكفر، والابتداع، والاختلاف.

٣ ـ أن «الوجه» مرآة التنعم أو البؤس.

قوله: «عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، كان في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

هذا حديثٌ عظيم، وهو أصلٌ في بيان الافتراق، ويصدقه الحديث المتفق عليه: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «**فَمَنْ**»[1]؛ أي: حتى في الأمور المستكرهة، والمضائق الصعبة ستجارونهم، وقد وقع ذلك، ومن تأمل في التاريخ والواقع وجد شواهد كثيرة، لكن لا يلزم أن يقع ذلك من أكثر الأمة، لكن يقع من بعضها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَلِهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمُ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ. وَأَمَّا الْفِرَقُ الْبَاقِيَةُ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشُّذُوذِ وَالتَّفَرُّقِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَلَا تَبْلُغُ الْفِرْقَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ قَرِيبًا مِنْ مَبْلَغِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ بِقَدْرِهَا بَلْ قَدْ تَكُونُ الْفِرْقَةُ مِنْهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٥٦)، ومسلم في باب اتباع سنن اليهود والنصارى برقم (٢٦٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥).

قوله: «ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل» إذا تعدى «أتى» بـ«على» أشعر بمعنى الهلكة؛ كقوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤٢]. والمراد بالأمة هنا: أمة الدعوة. وبنو إسرائيل: لقب يشمل اليهود والنصارى.

قوله: «حَذْوَ النعل بالنعل» قال ابن الأثير: (أَيْ: تَعْمَلون مِثْلَ أعمالِهم كَمَا تُقْطَع إحدَى النَّعلَين عَلَى قَدْر النَّعل الْأُخْرَى. والحَذْوُ: التَّقدِير والقَطْع)[1]، ومثله ما تقدم: «**شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**»، وقوله: «**حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة**» وهي ريشة السهم، يُضرب مَثَلًا للشَّيئين المتماثلين.

«حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، كان في أمتي من يصنع ذلك» كناية عن البجاحة والصفاقة في الزنا؛ لأنه من أبشع الأشياء وأشنعها، وأشدها نكارة، ومع ذلك يقع!

قال: **«وإنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»** حديث الافتراق، رواه جمع كثير من المتقدمين، وتلقته الأمة بالقبول، وصحَّحه جمع كثير من المحققين، ونسمع شنشنة في الآونة الأخيرة، من دعاة التجميع والتلفيق، بتضعيف الحديث وردِّه، لرغبتهم في التقارب مع الطوائف المبتدعة تحت شعارات عاطفية. وقد صنف المصنفون في بيان هذه الفرق، فصنف عبد القاهر البغدادي (الفَرْق بين الفِرَق)، وصنف الشهرستاني (المِلَل والنِّحل)، وصنف ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنِّحل)، وهذا أمرٌ مشتهرٌ ومستفيضٌ عند المسلمين، لا سبيل لردِّه، كما أنَّ الواقع يدل عليه.

قوله: «قالوا: من هي يا رسول الله؟! قال: «ما أنا عليه وأصحابي» هي الفرقة الناجية في الدنيا من الفرقة والابتداع، وفي الآخرة من النار. فمن أراد النجاة والسلامة فليلزم ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ وهم أهل السُّنَّة والجماعة.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٥٧).

فوائد الحديث:

١ ـ وجوب الدخول في عقد الإسلام، وترك ما سواه من الفرق.

٢ ـ علامة من علامات النبوَّة، بتحقق نبوءته.

٣ ـ أن الافتراق سنَّة كونية.

٤ ـ أن الافتراق المذموم في الحديث يتعلَّقُ بالأصول لا بالفروع.

٥ ـ وقوع التشبه ببني إسرائيل في هذه الأمة؛ كمًّا وكيفًا.

٦ ـ أن النجاة بالتمسك بالإسلام، ولزوم السُّنَّة.

قوله: «إنَّه سيخرج من أمتي قوم تجارى بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» تجارى: أي: تنفذ، وتسري. الكَلَب: داءٌ معروف يقع للكلاب، فإذا عضَّ الكلبُ الكلِب إنسانًا سرى فيه هذا المرض، وانتشر، فلا يدع منه عرق، ولا مفصل إلا تخلله، فلا يلبث ساعات حتى يموت. وهكذا الهوى والبدعة، فإنَّ المرء إذا تشرَّبها سرت فيه، وصارت غشاوة على عينيه، ووقرًا في أذنيه، وأكنة على قلبه. وقد كان في هذه الأمة، ووقع لرؤوس الفرق؛ كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجهمية، وانطبق عليهم هذا الوصف النبوي.

قال الشاطبي: (مَعْنَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْبَرَ بِمَا سَيَكُونُ فِي أُمَّتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي افْتَرَقُوا فِيهَا إِلَى تِلْكَ الْفِرَقِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ فِيهِمْ أَقْوَامٌ تُدَاخِلُ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ قُلُوبَهُمْ حَتَّى لَا يُمْكِنَ فِي الْعَادَةِ انْفِصَالُهَا عَنْهَا وَتَوْبَتُهُمْ مِنْهَا، عَلَى حَدِّ مَا يُدَاخِلُ دَاءُ الْكَلَبِ جِسْمَ صَاحِبِهِ فَلَا يَبْقَى مِنْ ذَلِكَ الْجِسْمِ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَائِهِ وَلَا مَفْصِلٌ وَلَا غَيْرُهُمَا إِلَّا دَخَلَهُ ذَلِكَ الدَّاءُ، وَهُوَ جَرَيَانٌ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ وَلَا يَنْفَعُ فِيهِ الدَّوَاءُ، فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْهَوَى إِذَا دَخَلَ قَلْبَهُ، وَأُشْرِبَ حُبَّهُ، لَا تَعْمَلُ فِيهِ الْمَوْعِظَةُ وَلَا يَقْبَلُ الْبُرْهَانَ، وَلَا يَكْتَرِثُ بِمَنْ خَالَفَهُ)[1].

---

(١) الاعتصام للشاطبي، ت: الهلالي (٢/٧٧٨).

❁ فوائد الحديث:

١ ـ وجوب الدخول في الإسلام، ولزوم السُّنَّة، واجتناب الأهواء والبدعة.

٢ ـ شدة نفاذ البدعة في قلوب متبعي المتشابه، وسرعة تمكّنها في قلوبهم.

٣ ـ صدق التمثيل النبوي، ومطابقته للواقع.

وقوله: «ومبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية»؛ أي: أنَّه ساعٍ في إحداث بدعة ليست منه. وقد تقدم.

قوله: «وليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء الله، كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصًا قوله: «ما أنا عليه وأصحابي» يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة!»؛ أي: لو وافقت من القلوب حياة لأحدثت أثرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧].

فكلُّ أمر يطرأ عليك، وكلُّ نازلة تقع في فنائك، فانظر ماذا كان عليه النبي ﷺ وأصحابه؟ فالزمه، واعتصم به، وما كان خلافه فانبذه ورده، تَسْلَمْ وتنجو، فإنَّ السُّنَّة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[1].



(١) من قول الإمام مالك في تاريخ دمشق، لابن عساكر (١٤/ ٩).



باب (٨)

ما جاء أنَّ البدعة أشد من الكبائر

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ باب: ما جاء أنَّ البدعة أشد من الكبائر:

❁ وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

❁ وفي «الصَّحيح»: أنَّه ﷺ قال في الخوارج: **«أينما لقيتموهم، فاقتلوهم»**[(١)]، **«لئن لقيتهم لأقتلنَّهم قتل عاد»**[(٢)]. وفيه: أنَّه ﷺ نهى عن قتل أمراء الجَور **«ما صلُّوا»**[(٣)].

❁ وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا تصدَّق بصدقة، ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: **«من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦١١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج برقم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [الحاقة: ٦] برقم (٣٣٤٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك برقم (١٨٥٤).

فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[١]، رواه مسلم.

❁ وله: مثله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: **«من دعا إلى هدى»** الحديث، ثم قال: **«من دعا إلى ضلالة»**[٢].

❁ الشرح ❁

البدعة لغةً: البدء، والإنشاء، والاختراع على غير مثال سابق. والمراد بها في الاصطلاح: الإحداث في الدين، كما قال النبي ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[٣].

والإحداث قد يكون في العقائد، وقد يكون في الأقوال، وقد يكون في الأعمال، فكلٌّ من أحدث في الدين ما ليس منه، سواء كانت بدعةً عقدية، أو قولية، أو عملية.

والبدعة تارةً تكون أصلية، وتارةً تكون إضافية: فالبدعة الأصلية: أن يُحدِث في الدين ما لا أصل له. والبدعة الإضافية: أن يعمد إلى أمرٍ مشروع، له أصل في الدين، فيضيف إليه شيئًا ينقله عن وضعه الشرعي، إما من جهة سببه، أو جنسه، أو قدره، أو مكانه، أو زمانه، أو كيفيته. وهي أكثر ما يقع بين الناس.

وقد عرَّف الشاطبي رحمه الله البدعة بقوله: «طريقة في الدين مخترعة،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة برقم (٢٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

تضاهي الشرعية، يقصد بالسير عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه»[١]. فقوله: «البدعة طريقة في الدين» أخرجت أمور الدنيا، فلا يدخل في البدعة ما يتعلق بالمباني، والمراكب، والمطاعم، والمشارب، وغير ذلك. وقوله: «مخترعة»؛ أي: على غير مثال سابق. وقوله: «تضاهي الشرعية»؛ أي: أنَّ لها شبه بالأمور الشرعية، وبذلك راجت على الجهال. وقوله: «يقصد بالسير عليها المبالغة في التعبُّد لله تعالى» لذلك لم يكتفِ بالسنن. وقد تقدم أنَّ اقتصادًا في سنَّة خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة[٢]، وأنَّ البدعة لا تزيده من الله إلا بُعدًا[٣]، وأنَّه ما أُقيمت بدعة إلا وأُميتت سنة[٤]، فلهذا جاء النهي عنها. وأعظم البدع: البدع العقدية، وأعظم البدع العقدية: الشرك، وهو تسوية غير الله بالله، فيما هو من خصائص الله؛ في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته. لهذا استدل المصنف بثلاث آيات، وعدة أحاديث:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴿٤٨﴾﴾ إنما كان الشرك أعظم أنواع البدع؛ لأن الله لا يغفره، فمن ابتدع بدعة تتعلق بصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، فقد أتى بما هو أكبر من الكبائر؛ لأنَّ الكبائر تحت المشيئة والإرادة؛ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه. فمن عقد القباب على الأضرحة والقبور، ودعا الناس إلى الطواف بها، وسؤال الموتى، والاستغاثة بهم، وما أشبه ذلك، فقد أتى أمرًا لا يُغفر.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ

---

(١) الاعتصام للشاطبي، ت: الهلالي (١/ ٥٠).

(٢) من كلام ابن مسعود، كما في المعجم الكبير للطبراني، برقم (١٠٣٣٧)، ومن كلام أبي الدرداء في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي برقم (١١٥).

(٣) البدع، لابن وضاح برقم (٦٦)، عن الحسن قال: «صاحب البدعة لا يزداد اجتهادًا صيامًا وصلاة إلا ازداد من الله بُعدًا».

(٤) فيض القدير (٥/ ٤١٢)، قال الحرالي: «وقد جرت سنة الله بأنه ما أمات أحد سنة، إلا زاد في خذلانه بأن تحيا على يده بدعة».

﴿ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ﴾ التقدير: لا أحد أظلم، والمقصود في هذا المقام المعين؛ مقام الافتراء. فالمبتدع مفترٍ على الله، كأنَّما يقول للناس: هذا خبر الله فصدِّقوه، وهذا أمر الله فامتثلوه! بلا دليل، ولا أثارة من علم. ولا ريب أنَّ القول على الله بغير علم من أعظم المحرمات، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، وهذا من باب الترقي حتى بلغ منتهاه.

الآية الثالثة: قول الله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾، هذا من شؤم سعايتهم في الإضلال، فكل من ابتدع بدعة، فإنَّه يتحمَّل وزرها، ووزر من عمل بها.

فوائد الآيات:

١ ـ أن البدعة العقدية أعظم من الكبائر؛ لعدم مغفرتها، وتناهيها في الظلم والإضلال، وتفاقم وزرها.

٢ ـ أن ما دون الشرك من الكبائر، تحت المشيئة والإرادة، خلافًا للوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

٣ ـ عِظَم القول على الله بغير علم.

٤ ـ شؤم الابتداع، وسريان آثاره على صاحبه.

قوله: وفي الصحيح: أنَّه ﷺ قال في الخوارج: ضرب المصنف رحمه الله مثلًا ببدعةٍ مُغلَّظة، وهي بدعة الخوارج، وهي أول بدعة ظهرت في الإسلام، حين مرقت مارقة على حين فرقة من أهل الإسلام، في أمرٍ لا يتعلق بالاعتقاد، وإنَّما يتعلق بالولاية؛ فانقسم المسلمون إلى معسكر العراق، ومعسكر الشام، فخرجت الخوارج من جيش علي رضي الله عنه، وانتحوا في موضع يقال له: حروراء، وأمَّروا عليهم أميرًا، يقال له: عبد الله بن وهب الراسبي، ثم صاروا يقطعون الطريق على الناس، ويمتحنونهم، ويقتلون من لا يوافقهم،

فندب علي رضي الله عنه المهاجرين والأنصار إلى قتالهم، وقال: هؤلاء الذين أخبرنا عنهم رسول الله ﷺ، في قوله: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١)، فرغم اجتهادهم في العبادة، وقيامهم، وصيامهم، إلا أنهم كانوا على ضلالة.

قوله: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» هذه دعوة لاستئصالهم؛ لأنهم عضو فاسد، ومادة خبيثة، لا بد من اجتثاثها؛ لأنَّ ضررها متعدٍّ، يفسدون العقول، ويزهقون الأرواح، فلذلك شدد النبي ﷺ في أمرهم، حتى أنَّه لا يوجد من النصوص في التحذير من فرقة كما يوجد في الخوارج. قال الإمام أحمد: «صح الحديث فيهم من عشرة أوجه»(٢).

قوله: «لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد» قال النووي رحمه الله: (أَيْ: قَتْلًا عَامًّا، مُسْتَأْصِلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ⑧﴾ [الحاقة: ٨] وَفِيهِ الْحَثُّ عَلَى قِتَالِهِمْ)(٣).

قوله: «وفيه: أنَّه نهى عن قتل أمراء الجور، ما صلُّوا» وذلك أنَّ النبي ﷺ أخبر أصحابه بأنَّه سيلي عليهم أمراء، يعرفون منهم وينكرون، فقالوا له: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «**لا، ما صلوا**»(٤)، فما داموا باقين على وصف الإسلام فلا يقاتلون. بخلاف الخوارج الذين ابتدعوا في الدين فإنه حضَّ على قتالهم. فجمع المصنف بين هذين الدليلين ليبين أن البدعة أشد من الكبيرة. وهذا الحديث دليل على أنَّ ترك الصلاة مُخرجٌ عن الملة؛ لأنه عصم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فخر به برقم (٥٠٥٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

(٢) المبدع في شرح المقنع (٧/ ٤٧٠)، وكشاف القناع عن متن الإقناع (٦/ ١٦١).

(٣) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٦٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك برقم (١٨٥٤).

دماءهم بالصلاة، قال: «**لا، ما صلوا**»؛ فالصلاة فاصل بين الإيمان والكفر، فإن هم تركوا الصلاة زالت العصمة، بكفرهم بتركها. وفي الحديث الآخر: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(١).

۞ فوائد الأحاديث:

١ ـ أن بدعة الخوارج شر من الكبائر.

٢ ـ الحث على استئصال الخوارج، وعدم مهادنتهم لخطر بدعتهم على الأمة.

٣ ـ أن جور الأمراء، أهون من بدعة الخوارج، فلا يجوز قتال أمراء الجور، ويتعين قتال الخوارج.

قوله: وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رجلًا تصدَّق بصدقة، ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» رواه مسلم.

سبب هذا الحديث ما حدَّث به جرير بن عبد الله رضي الله عنه في أوله: قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ؛ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ [النساء: ١]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أمورًا تنكرونها**» برقم (٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية... برقم (١٧٠٩).

دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ـ حَتَّى قَالَ ـ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا؛ بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ؛ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ) فذكره.

وليس في هذا مدخلٌ لأهل البدع، لتسويغ بدعهم، بدعوى أن هذا الرجل قد سنَّ في الإسلام، فيسعهم الإحداث في الدين! يقال: نعم، هذا سنَّ في الإسلام، وأنتم سننتم من غير الإسلام؛ لأنَّ أصل الصدقة مشروع في الإسلام، فهو لم يبتدعها، وإنما استفتح العمل بها وأحياها، فتتابع الناس، فهذه سنة إسلامية، وليست بدعةً أصليةً أو إضافية.

قوله: «ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» هذا من شؤم البدعة، فالذي يُحدث في الإسلام ما ليس منه، مهما كان مسوغه، فإنَّه يحمل وزرها، ووزر من عمل بها، مع بقاء أوزارهم على ظهورهم، ألا ساء ما يزرون.

قوله: «وله: مثله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «من دعا إلى هدى» الحديث، ثم قال: «من دعا إلى ضلالة» عبَّر مرةً بقوله: «من سنَّ»، ومرةً بقوله: «ومن دعا»؛ فكلمة: «من سنَّ» تدلُّ على السُّنَّة العملية، وقوله: «دعا» تدل على السُّنَّة القولية.

فوائد الحديث:

١ ـ خطورة الابتداع وأنه أعظم وِزْرًا من المعاصي.

٢ ـ فضيلة إحياء السُّنن الثابتة، واستفتاحها.

٣ ـ كمال عدل الله وفضله.





باب (٩)

ما جاء أنَّ الله احتجز التوبة على صاحب البدعة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ باب: ما جاء أنَّ الله احتجز التوبة على صاحب البدعة:

❁ هذا مرويٌّ من حديث أنس[(١)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من مراسيل الحسن[(٢)].

❁ وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: كان عندنا رجلٌ يرى رأيًا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين، فقلت: أشعرت أنَّ فلانًا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحوَّل؟ إنَّ آخر الحديث أشدُّ عليهم من أوله: **«يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه»**[(٣)].

❁ وسُئل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى ذلك، فقال: لا يُوفَّق للتوبة[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، برقم (١٤٩)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة، برقم (٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم (٩٤٥٦)، وابن عدي في الكامل: (٦/ ٢٢٦١)، وابن الجوزي في العلل التناهية، رقم (٢١١، ٢١٢). وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، برقم (١٤٨)، وأخرجه الآجري في الشريعة برقم (١٤٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، برقم (٢٧٠). وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، برقم (١٤٤).

(٤) الجامع لعلوم الإمام أحمد، الأدب والزهد (٢٠/ ٢٢٤).

الشرح

قوله: «باب: ما جاء أنَّ الله احتجز التوبة على صاحب البدعة» قال ابن فارس: (الحاء والجيم والزاء، أصل واحد مطرد القياس، وهو الحول بين الشيئين)(١).

والمروي عن أنس والحسن كله ضعيف. وعلى تقدير صحته فليس المقصود أنَّ المبتدع إذا تاب لا تصحُّ توبته، وإنَّما المقصود: أنَّه لا يُوفَّق للتوبة غالبًا، وسرُّ ذلك أنَّ المبتدع يرى أنَّه على حق، كما قال الله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]، فلا يفكر في النظر في حاله، وطلب الهدى. بينما العاصي الذي يتلطخ بقاذورات الكبائر؛ من الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمور، يشعر في قرارة نفسه بأنَّه مخطئ، وربما يتمنى أن تواتيه الفرصة للتوبة، لكن المبتدع يُخيَّل إليه أنَّه على صواب وغيره على خطأ، فلا يخطر بباله أن يدع ما هو عليه.

قوله: «وذكر ابن وضاح عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأيًا» أراد رأي الخوارج، كما سيأتي.

قوله: «فأتيتُ محمد بن سيرين» الأنصاري، البصري، تابعي، ثقة، عابد، مات سنة عشر ومائة.

قوله: «فقلت: أشعرت أنَّ فلانًا ترك رأيه؟»؛ أي: هل علمت، أو هل بلغك أنه ترك بدعته.

قوله: «انظر إلى ماذا يتحول؟»؛ أي: تريث! ولا تفرح، ولا تذهب بعيدًا في التفاؤل.

قوله: «إنَّ آخر الحديث أشدُّ عليهم من أوله: «يمرقون من الإسلام، ثم لا يعودون فيه»»؛ هذا دليلٌ أنَّ الرجل كان يقول بقول الخوارج فترك مقالة

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٧٩).

الخوارج، لكن مرجع الضمير في قوله: «**ثم لا يعودون فيه**» على الإسلام، فدل على أنَّهم لا يُوفَّقون للتوبة.

قوله: «وسُئل أحمد عن معنى ذلك، فقال: لا يُوفَّق للتوبة» التوبة توفيق من الله، فلا يظنَّ ظانٌّ أنَّ التوبة في كم قميصه، يخرجه متى شاء، ويرده متى شاء، يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [التوبة: ١١٨]، فالله تعالى هو التوَّاب، والتواب لها معنيان: أنَّه يوفِّق للتوبة، وأنَّه يقبل التوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أَنَّ تَوْبَةَ الْمُبْتَدِعِ لَا تُقْبَلُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]. وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَد وَالْمُقَفَّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**». وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**أَنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَأَنَا نَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ**» وَذَلِكَ أَنَّهُ بُعِثَ بِالْمَلْحَمَةِ وَهِيَ: الْمَقْتَلَةُ لِمَنْ عَصَاهُ وَبِالتَّوْبَةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَبِالرَّحْمَةِ لِمَنْ صَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ وَهُوَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِين... قَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَتَوْبَةِ الدَّاعِي إِلَى الْبِدَعِ وَفِي ذَلِكَ نِزَاعٌ فِي مَذْهَبِ أَحْمَد وَفِي مَذْهَبِ مَالِكٍ أَيْضًا، نِزَاعٌ ذَكَرَهُ صَاحِبُ التَّمْثِيلِ وَالْبَيَانِ فِي «الْجَامِعِ» وَغَيْرِهِ وَتَكَلَّمُوا أَيْضًا فِي تَوْبَةِ الزِّنْدِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. فَهُمْ قَدْ يَتَنَازَعُونَ فِي كَوْنِ التَّوْبَةِ فِي الظَّاهِرِ تَدْفَعُ الْعُقُوبَةَ: إِمَّا لِعَدَمِ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهَا وَإِمَّا لِكَوْنِهَا لَا تَمْنَعُ مَا وَجَبَ مِنَ الْحَدِّ وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّ الزِّنْدِيقَ وَنَحْوَهُ إِذَا تَابَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَوْبَةً صَحِيحَةً لَمْ يَتَقَبَّلْهَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْقَاتِلُ وَالْمُضِلُّ فَذَاكَ لِأَجْلِ تَعَلُّقِ حَقِّ الْغَيْرِ بِهِ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ لَهَا حَالٌ آخَرُ وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ الْكَلَامِ فِيهَا وَفِي تَفْصِيلِهَا، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ أَنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ)[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٤٠٦ ـ ٤٠٨).

❁ **فوائد الآثار:**

١ ـ شؤم البدعة، وأنها سبب للحيلولة دون التوبة.

٢ ـ أن صاحب البدعة يتنقَّل بين الآراء، ويُحرَم الهدى والثبات.

٣ ـ أن التوبة مِنحة وهبة وتوفيق من الله.





باب (١٠)

قول الله تعالى:
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠]؛ وفيه: حديث الخوارج، وقد تقدم.

وفي «الصحيح»: أنَّه ﷺ قال: «**إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنَّما أوليائي المتَّقون**»(١).

وفيه أيضًا: عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ ذُكر له أنَّ بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، فقال ﷺ: «**لكنني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني**»(٢)، فتأمل إذا كان بعض الصحابة لما أراد التبتُّل للعبادة قيل فيه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم برقم (٢١٥) ولفظه: «**ألا إن آل أبي ـ يعني: فلانًا ـ ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين**».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم =

هذا الكلام الغليظ، وسمّى فعله رُغوبًا عن السُّنَّة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟

الشرح

عقد المصنف هذا الباب لبيان مشروعية مجادلة المخالفين للحق؛ والبراءة منهم، سواءٌ كانوا من أهل الملل السابقة؛ كاليهود والنصارى، أو كانوا ممن خرج عن السُّنَّة؛ كالخوارج والمتنطعين، والنكير عليهم. وذكر فيه آيتين، وحديثين:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ هذا نكير من الله تعالى على اليهود والنصارى؛ فإن كلًّا من الطائفتين انتحلت إبراهيم عليه السلام، فقالت اليهود: كان إبراهيم يهوديًّا، وقالت النصارى: كان نصرانيًّا! وتلك مزاعم صلعاء ساقطة، لسبب بيِّن واضح، وهو أن اليهودية التي تنمي نفسها إلى موسى والتوراة، والنصرانية التي تنمي نفسها إلى عيسى والإنجيل، إنما ظهرتا بعد إبراهيم بزمنٍ طويل. قال ابن كثير رحمه الله: (أَيْ: كَيْفَ تَدّعُون، أَيُّهَا الْيَهُودُ، أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَدْ كَانَ زَمَنُهُ قَبْلَ أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، وَكَيْفَ تَدّعُون، أَيُّهَا النَّصَارَى، أَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا، وَإِنَّمَا حَدَثَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بَعْدَ زَمَنِهِ بِدَهْرٍ)(١).

ولما كان الأمر مدركًا ببداهة العقول، ختم الآية بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾، ثم أردفها بقول مقنع: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾، فسوَّغ لهم أن يحاجّوا فيما لديهم فيه أثارة من علم، وأنكر عليهم التخوُّض فيما لا علم لهم به. وهذا من أصول المناظرة، وقواعد الحِجَاج. ثم أتبعها بالحق الدامغ،

= في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم برقم (١٤٠١).

(١) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٢/ ٥٧).

والقول الفصل، القاطع لكل نزاع، فأكذب دعواهم، وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾؛ بل ولا عامة أنبياء بني إسرائيل كانوا كذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ قد أسلفنا في الأبواب الأولى أنَّ ملة إبراهيم عليه السلام هي الحنيفية، وأنَّها دين الله تعالى للأنبياء جميعًا، فجميع الأنبياء على دينٍ واحد، هو الإسلام، بمعناه العام، الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وأنَّ أنبياء بني إسرائيل قاطبةً، كلهم مسلمون، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وقررنا بأنَّ موسى عليه السلام لم يُبعث باليهودية، وأنَّ عيسى عليه السلام لم يُبعث بالنصرانية، وإنَّما بُعثوا جميعًا بملة إبراهيم؛ كسائر أنبياء الله تعالى، لكن لما وقع التحريف الذي أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١]، وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩] آل دين موسى، بعد تحريف الأحبار، إلى اليهودية، وآل دين عيسى، بعد تحريف الرهبان إلى النصرانية. فلا يجوز أن يقال: الأديان الثلاثة، فإن دين الله واحد وهو الإسلام، وليس لله دين اسمه اليهودية، أو النصرانية، كيف وقد برَّأ الله تعالى إبراهيم عليه السلام منهما فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾؛ بل برَّأ جميع أنبياء بني إسرائيل، فقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٠]. والأسباط هم الأنبياء في قبائل بني

إسرائيل، فيقال: سبط يهوذا، سبط لاوي، وهكذا، فحاشاهم أن يكونوا كذلك، أما بنو إسرائيل فقد رغبوا عن ملة إبراهيم، كما قال الربيع: «رغبت اليهود والنصارى عن ملة إبراهيم، وابتدعوا اليهودية والنصرانية وليست من الله، وتركوا ملة إبراهيم الإسلام»(١).

قوله: «وفيه حديث الخوارج، وقد تقدم»؛ أي: في النكير عليهم، وذمهم، والحض على قتالهم.

فوائد الآيات:

١ ـ الإنكار على المُخالف، ومجادلته، والبراءة منه.

٢ ـ أن من أصول الحِجَاج، وقواعد المناظرة والحوار أن يكون مؤسسًا على علم.

٣ ـ تسويغ حجاج المخالف إذا كان يستند إلى دليل.

٤ ـ اختصاص الله تعالى بالعلم المطلق القطعي.

٥ ـ براءة إبراهيم عليه السلام من اليهودية والنصرانية والشرك، واتصافه بالإسلام الخالص.

٦ ـ تسفيه من رغب عن ملة إبراهيم، وهي الحنيفية.

٧ ـ اختصاص الله بالتفضيل والاصطفاء لمن شاء.

٨ ـ فضيلة إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة.

الحديث الأول: قوله ﷺ: «إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنَّما أوليائي المتقون» هذه براءة نبوية من موالاة من لا يستحق الموالاة، وبيان أن معاقد الولاء والبراء تدور على التقوى، لا على النسب. قال القاضي عياض رحمه الله: (هى كناية عن قوم كره الراوي تسْمِيتَهم لما يقع في نفوس ذراريهم. وبقي فقه الحديث وحكمته في قوله: «**إنما وليِّيَ الله، وصالح المؤمنين**»، فأفاد أنَّ أولياءه صالح المؤمنين، وإن بَعُدَ نسبهم منه، وأنَّ من

(١) تفسير الطبري = جامع البيان، ت: شاكر (٣/ ٨٩).

ليس بمؤمنٍ، ولا صالح، ليس له بولي وإن قرُبَ نسبه منه. ودل الحديث أن الولاية فى الإسلام إنما هي بالموافقة فيه بخصال الديانة، وزمام الشريعة، لا بامتشاج النسب، وشجنةِ الرحم)[1]، وقد قيل:

لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلَّا بِدينِهِ ... فَلا تَتْرُكِ التَّقوى اتِّكالًا على النسب
لَقد رَفَعَ الإسلامُ سَلمَانَ فَارِسٍ ... وقَد وَضَعَ الشِّركُ الشقيَّ أبَا لَهب

❁ **فوائد الحديث:**

١ - المجاهرة بالبراءة ممن ليس أهلًا للولاية.

٢ - تعليق الولاء والبراء، والحب والبغض، والحمد والذم، على الأوصاف الشرعية؛ كالتقوى.

الحديث الثاني: قوله ﷺ: «لكنني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني» قالها ﷺ لنفرٍ أتوا بيته، وسألوا أهله عن عمله، فأخبروهم، فكأنَّهم تقالُّوه، قال أحدهم: «أما أنا فإني أقوم ولا أنام، وقال آخر: أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: لا أتزوج النساء». فدين الإسلام دين الفطرة، ليس خاضعًا للأمزجة؛ بل هو ميزان دقيق، نزل من عند الله، يلبي حاجات الروح والجسد، ويحقق للإنسان الحياة الطيبة السوية.

وقد عقَّب المصنف على الحديث بقوله: **«فتأمل إذا كان بعض الصحابة لما أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ، وسمّى فعله رغوبًا عن السُّنَّة، فما ظنك بغير هذا من البدع؟ وما ظنك بغير الصحابة؟»**

❁ **فوائد الحديث:**

١ - الجهر ببيان السُّنَّة، ونبذ البدعة.

٢ - البراءة ممن رغب عن هديه ﷺ، وأفرط، أو فرط.



(١) إكمال المعلِم بفوائد مسلم: (١/ ٦٠٠).



باب (١١)

قول الله تعالى:
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ باب: قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

﴿ وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].
وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

الشرح

عقد المصنف هذا الباب لبيان أن دين الإسلام هو الفِطْرَة التي فَطَرَ الناس عليها، وهو الحنيفية، ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي وصَّى بها، وأن الخروج عنه خروج عن الفِطْرَةِ والاستقامة. وذكر فيه ثلاث آيات، وجملةً من الأحاديث.

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ اختلف العلماء اختلافًا واسعًا في معنى الفِطْرَة، وتنوعت عباراتهم في تفسيرها. وقد ختم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه الحافل النافع (شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) بفصلٍ يتعلق بالفطرة، وبيّن

مذاهب الناس فيها، على خمسة أقوالٍ[١]، ملخصها:

١ ـ الإقرار بمعرفة الله، وهي العهد الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم.

٢ ـ البداءة التي ابتدأهم عليها للحياة والموت، والسعادة والشقاء، إلى ما يصيرون إليه عند البلوغ.

٣ ـ السلامة خلقةً، وطبعًا، وبنيةً، والسذاجة التي ليس معها كفرٌ ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار.

٤ ـ طبعهم حين ابتداء خلقهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان.

٥ ـ الإسلام؛ أي: ابتدأ خلقهم على الإقرار به، ومحبته، والإخلاص له، والإنابة إليه، وإجلاله، وتعظيمه، واعتقاد المثل الأعلى له. وهذا قول عامة السلف، وقد نصره شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ، وبه نطق الكتاب، وصحت به الآثار، وعليه تفاسير السلف.

فلو خُلِّي الإنسان بينه وبين فطرته، ولم يتعرض لاجتيال شياطين الإنس والجن، لاهتدى إلى الإسلام، وليس المقصود من اهتدائه إلى الإسلام أن يعرف تفاصيل الشريعة، وإنَّما تقوده فطرته إلى الإيمان بإلهٍ، خالق، قادر، عليم، عليٍّ، غنيٍّ، رازق، مالك، مدبر، مستحق لصفات الكمال، ونعوت الجلال، مستحق للعبادة، والحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والتضرع، دون ما سواه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسير الآية: (فَسَدِّدْ وَجْهَكَ، وَاسْتَمِرَّ عَلَى الَّذِي شَرَعَهُ اللهُ لَكَ، مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هَدَاكَ اللهُ لَهَا، وَكَمَّلَهَا لَكَ غَايَةَ الْكَمَالِ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ لَازِمْ فِطْرَتَكَ السَّلِيمَةَ، الَّتِي فَطَرَ اللهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى فَطَرَ خَلْقَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلٰهَ غَيْرَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ

---

(١) انظر الباب الموفي ثلاثين من شفاء العليل (٣/ ١٣٨٧ ـ ١٤٧٦)، ت: د. أحمد الصمعاني، د. علي العجلان، ط. دار الصميعي، الأولى ١٤٢٩هـ.

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وَفِي الْحَدِيثِ: «**إني خلقت عِبادِي حُنَفاء، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ**»... وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ لَا تُبَدِّلُوا خَلْقَ اللهِ، فَتُغَيِّرُوا النَّاسَ عَنْ فِطْرَتِهِمُ الَّتِي فَطَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهَا. فَيَكُونُ خَبَرًا بِمَعْنَى الطَّلَبِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَهَذَا مَعْنًى حَسَنٌ صَحِيحٌ)[(١)].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ الفطرة السوية هي الحنيفية، ملة إبراهيم، التي عبر عنها بالإسلام. قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في بيان مرجع الضمير: (أَيْ: وَصَّى بِهَذِهِ الْمِلَّةِ، وَهِيَ الْإِسْلَامُ للهِ، أَوْ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى الْكَلِمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: ١٣١]، لِحِرْصِهِمْ عَلَيْهَا، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهَا، حَافَظُوا عَلَيْهَا إِلَى حِينِ الْوَفَاةِ، وَوَصَّوْا أَبْنَاءَهُمْ بِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨])[(٢)].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ لم يزل حبل التوحيد ممدودًا، حتى آلت النوبة إلى خاتم النبيِّين، وإمام الموحِّدين في الآخرين محمد ﷺ، فأمره ربّه بما أمر به أباه إبراهيم، وأحاله على ملته الحنيفية، كما قال: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١]، وليس بعد هذا التأكيد تأكيد، ولا فوق هذا الترغيب ترغيب.

۞ فوائد الآيات:

١ ـ وجوب الاستقامة على دين الله ظاهرًا؛ بالطاعة والعمل، وباطنًا؛ بالإخلاص والتقوى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ت: سلامة (٦/٣١٣، ٣١٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ت: سلامة (١/٤٤٦).

٢ ـ أن الفطرة الأصلية السوية لجميع الناس: هي الدين الصحيح، وهو الإسلام.

٣ ـ تحريم تغيير خلق الله، وإفساد الفطرة.

٤ ـ التواصي بلزوم الإسلام، وتوارثه في الأجيال المتعاقبة، والموت عليه.

٥ ـ فضيلة خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام ووجوب اتباع ملته الحنيفية.

٦ ـ أن ما خرج عن ملة إبراهيم عليه السلام فهو إما شرك أو بدعة.



قال المصنف رحمه الله:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لكل نبيٍّ ولاة من النبيِّين، وأنا وليِّيَ منهم أبي إبراهيم، وخليل ربي**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٨][(١)].

الشرح

لم يحظ نبيٌّ من الأنبياء الكرام، بثناءٍ في القرآن كما حظي به عن إبراهيم عليه السلام، فقد تكرر اسمه أربعًا وستين مرة! وهو حقيقٌ بذلك، فهو خليل ربِّ العالمين، وإمام الموحِّدين في الأولين. ولما كان نبينا ﷺ مأمورًا باتباع ملته، وهي الحنيفية، تولاه، لاتباعه ملته؛ ولأنَّه من نسله وذريته، وكان أقرب الناس شبهًا به. ومن عجيب ما ذُكر في السِّيَر: أنَّ قريشًا لما بعثت في طلب النبي ﷺ، وأتوا بأحد القفاة، ورأى موضع قدم النبي ﷺ قال لهم القائف: «هذا القدم قدم ابن أبي قحافة ـ أي: أبو بكر ـ، وهذا الآخر لا أعرفه، إلا

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران برقم (٢٩٩٥)، وأحمد ط. الرسالة برقم (٣٨٠٠)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (٤٠٣١) وصححه الألباني.

أنه يشبه القدم الذي في المقام»[1].

وعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عُرِضَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِذَا مُوسَى ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ؛ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا صَاحِبُكُمْ** - يَعْنِي: نَفْسَهُ -، **وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ** عليه السلام، **فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دِحْيَةُ**»[2]، وقال: «**أَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَانْظُرُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ**» متفق عليه[3].

❁ **فوائد الحديث:**

١ - ولاية نبينا ﷺ لأبيه إبراهيم، لاتباعه ملته الحنيفية، وكونه من ولده، وشبهه.

٢ - تفاوت الولاية بين الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فيما بينهم، فما بين المؤمنين من بابٍ أولى.

٣ - أن أساس الموالاة الاتباع، لا مجرد الدعوى.



قال المصنف رحمه الله:

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[4].

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ١١١).
(٢) أخرجه مسلم في باب الإسراء برسول الله ﷺ، برقم (١٦٧).
(٣) أخرجه البخاري في باب الجعد، برقم (٥٩١٣)، وأخرجه مسلم باب الإسراء برسول الله ﷺ، برقم (١٦٦).
(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله برقم (٢٥٦٤).

الشرح

أراد المصنف بهذا الحديث بيان أن القلب هو محل نظر الله من العبد، وقد عبَّر بعضهم فقال: القلب بيت الربّ في العبد[١]، كما أنَّ الكعبة بيت الربّ في الأرض؛ لأنَّه مستودع العلم به، ومحل محبته، وخشيته، ورجائه، دون سائر الجوارح، فينبغي أن تكون عناية الإنسان منصبَّةً على إصلاحه، وتصفيته، وتخليصه من الشوائب، والجواذب، بحيث يسلم لله ربِّ العالمين، قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**» متفق عليه[٢].

فلا يجول ويصول فيه سوى الخطرات الرحمانية الملائكية، من حبٍّ، وخوفٍ، ورجاءٍ، وشوقٍ، وتوكّلٍ، وأُنس به سبحانه. هذا هو عمل القلب الحقيقي، وتلك وظيفته. فإذا كانت وظيفة العين: الإبصار، ووظيفة الأذن: السمع، ووظيفة اليد: المناولة، ووظيفة القدم: السعي، فإن وظيفة القلب المعنوية ليست مجرد ضخ الدم من الأذين إلى البطين، ومن البطين إلى الأوردة، فهذه وظيفتة العضوية، لكن وظيفته المعنوية هي: العلم بالله، ومحبته، وخشيته، ورجاؤه، والأنس به؛ فليكن محل نظر الله منك أشرف، وأنقى، وأصفى، ما فيك؛ لهذا قال في حديث حذيفة: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها، نُكتَ فيه نُكتةً سوداء، وأي قلب أنكرها، نُكتَ فيه نُكتةً بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُربادًّا كالكوز، مجخّيًا لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر مُنكرًا، إلا ما أُشرب من هواه»[٣]،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (١/ ١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري في باب فضل من استبرأ لدينه، برقم (٥٢)، وأخرجه مسلم في باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم (١٥٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين برقم (١٤٤).

والكوز: الكأس، ومُجَخِّيًا؛ أي: منكوسًا؛ فمهما سكبت فيه من الماء فإنَّه لا يستقر؛ بل يسحُّ يمينًا وشمالًا، فكذلك القلوب، فينبغي للمؤمن الناصح لنفسه أن يتعاهد قلبه دومًا، وأن يطهِّره من الشبهات، والشهوات، والغفلات، والمشاحنات، وكل ما يشوش عليه من الآفات. فمن الناس من يضطرم في قلبه غيض وحقد، يكدر علمه بالله، وأنسه به، ففرِّغ قلبك من هذا الاحتقان الضار، وأخلصه لله ﷻ، واجعله محرابًا لعبادته ﷻ، وإذا صلح القلب، صلحت الأعضاء، فالقلب ملك، والأعضاء جنوده، وإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبث جنوده.

قوله: «إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى أموالكم» المراد نظر اعتبار، وإلا فإنه لا تخفى عليه خافية، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك: ١٩].

قوله: «ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»؛ أي: ما أنتم عليه من الإخلاص، والموافقة للسنة. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

فوائد الحديث:

١ ـ أهمية إصلاح القلوب، والحرص على سلامتها.

٢ ـ أهمية إصلاح الأعمال، وموافقتها للسنة.

٣ ـ عدم الاغترار بالظاهر والهيئات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ﴾ [المنافقون: ٤].



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهما: عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا فَرَطُكُم على الحوض؛ وليُرفعنَّ إليّ رجال من أمتي، حتى إذا أهويت لأناولهم اختُلِجوا دوني، فأقول: أي: رب أصحابي، فيقال:**

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(١).

ﷺ ولهما: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وددت أنَّا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أوَ لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواني هم الذين لم يأتوا بَعد**» قالوا: فكيف تعرف من لم يأتِ بعد من أمتك؟ قال: «**أرأيتم لو أنَّ رجلًا له خيلٌ غرٌّ محجَّلةٌ بين ظهراني خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى، قال: «**فإنَّهم يأتون غرًّا محجَّلين منَ الوضوء، وأنا فَرَطُهُم على الحوض، ألا ليذادنّ رجالٌ يوم القيامة عن حوضي، كما يُذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هَلُمَّ، فيقال: إنهم بدَّلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا**»(٢).

وللبخاري: «بينما أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم وعرفوني، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هَلُمَّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنَّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة ـ فذكر مثله ـ قال: فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»(٣). ولهما: في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، برقم (٧٠٤٩)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم (٢٤٧). واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه برقم (٢٣٦٧)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء برقم (٢٤٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض برقم (٦٥٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥] برقم (٣٣٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة برقم (٢٨٦٠).

الشرح

ساق المصنف هذه الأحاديث المتفق عليها لبيان شؤم عاقبة الإحداث في الدين يوم القيامة، وعدم إقامة الوجه للدين حنيفًا؛ بردَّة، أو بدعة، وأن أول ذلك حرمانهم من ورود حوض النبي ﷺ، وفي بعضها صرفهم إلى النار، عياذًا بالله.

قوله: «أنا فَرَطُكُم على الحوض» فرط القوم: سابقهم إلى مورد الماء. وهذا يدلُّ على كمال عنايته ﷺ بأمته، كما وصفه ربّه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، حتى إنَّه يسبق أمته إلى حوضه ليهيئه لهم.

قوله: «وليُرفعنَّ إليَّ رجال من أمتي حتى إذا أهويت لأناولهم» الهوي باليد: إمالتها بسرعة وخفة.

قوله: «اختُلِجوا دوني»؛ أي: نُزعوا وجُذبوا بغير إرادتهم. قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اختلجوا على صِيغَة الْمَجْهُول؛ أي: سُلبوا من عِنْدِي. يُقَال: خلجه واختلجه إذا جذبه وانتزعه.

قَوْله: «مَا أَحْدَثُوا»؛ أي: من الْأُمُور الَّتِي لَا يرى الله بهَا، وَجَمِيع أهل الْبدع وَالظُّلم والجور داخلون فِي معنى هَذَا الحَدِيث)[(١)]

قوله: «فأقول: أي: رب أصحابي» وفي لفظ **«أصيحابي»**[(٢)] مما يُشعر بالقلة.

قوله: «فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» فسبب ذودهم عن حوضه ﷺ هو الإحداث والبدعة. قيل: إنَّ هذا في حق قوم ارتدُّوا عن الإسلام بعد وفاته ﷺ. قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَحَاصِلُ مَا حُمِلَ عَلَيْهِ حَالُ

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٤/ ١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧] برقم (٤٦٢٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم (٢٣٠٤).

الْمَذْكُورِينَ أَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا مِمَّنِ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ فَلَا إِشْكَالَ فِي تَبَرِّي النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُمْ وَإِبْعَادِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا مِمَّنْ لَمْ يَرْتَدَّ لَكِنْ أَحْدَثَ مَعْصِيَةً كَبِيرَةً مِنْ أَعْمَالِ الْبَدَنِ أَوْ بِدْعَةً مِنَ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ، فَقَدْ أَجَابَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَشْفَعْ لَهُمُ اتِّبَاعًا لِأَمْرِ اللهِ فِيهِمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُمْ عَلَى جِنَايَتِهِمْ، وَلَا مَانِعَ مِنْ دُخُولِهِمْ فِي عُمُومِ شَفَاعَتِهِ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ فَيَخْرُجُونَ عِنْدَ إِخْرَاجِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ)[1].

قوله: «أرأيتم لو أنَّ رجلًا له خيلٌ غرٌّ محجَّلةٌ بين ظهراني خيلٍ دُهم بُهْم ألا يعرف خيله» قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْغُرَّةُ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ وَالتَّحْجِيلُ بَيَاضٌ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا... الدُّهْمُ فَجَمْعُ أَدْهَمَ وَهُوَ الْأَسْوَدُ وَالدُّهْمَةُ السَّوَادُ، وَأَمَّا الْبُهْمُ فَقِيلَ: السُّودُ أَيْضًا، وَقِيلَ: الْبُهْمُ الَّذِي لَا يُخَالِطُ لَوْنَهُ لَوْنًا سِوَاهُ سَوَاءٌ كَانَ أَسْوَدَ أَوْ أَبْيَضَ أَوْ أَحْمَرَ بَلْ يَكُونُ لَوْنُهُ خَالِصًا)[2].

قوله: «وأنا فَرَطُهم على الحوض»؛ أي: سابقهم، فَرَطُ الْقَوْمُ من يتَقَدَّمَهُمْ لِيَرْتَادَ لهم الماء ويهيء لَهُمُ الدِّلَاءَ، وَالرِّشَا، وآنية الشرب.

قوله: «ألا ليذادنّ رجال يوم القيامة عن حوضي، كما يذاد البعير الضال» ذاد: نحّى، وطرد.

قوله: «فأقول: سحقًا سحقًا»؛ أي: بُعدًا بُعدًا. دعاء عليهم لابتعادهم عن السُّنَّة بالإحداث.

قوله: «إنَّهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى» القهقرى: الرجوع إلى الخلف. وهذا دليلٌ على أنهم المرتدون بعد وفاته، الذين قاتلهم الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» قال ابن الأثير: (الهمل: ضوال الإبل، واحدها: هامل؛ أي: إن الناجي منهم قليل في قلة

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٣٥، ١٣٩).

النعم الضالة)[1].

۞ فوائد الأحاديث:

١ ـ خطورة البدعة والإحداث، وشؤمها على صاحبها في الآخرة.

٢ ـ إثبات المعاد، الحوض الشريف لنبينا ﷺ.

٣ ـ كمال شفقته ﷺ على أمته.

٤ ـ كونه ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه ربّه، والرَّد على أهل الغلو.

٥ ـ فضل الأخوة الإيمانية.

٦ ـ فضيلة الوضوء.

٧ ـ الاقتداء بالنبيِّين السابقين، كما أمر الله تعالى بعد ذكر جملة منهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٨ ـ تسمية عيسى عليه السلام بالعبد الصالح.

٩ ـ إعذار النبي ﷺ لربِّه.

١٠ ـ إثبات اسمي الله (الرقيب) و(الشهيد).



قال المصنف رحمه الله:

۞ ولهما: عنه رضي الله عنه مرفوعًا: «**ما من مولودٍ يولد إلا على الفِطْرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمة بهيمة جمعاء، هل تُحِسُّون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها**»، ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠] متفق عليه[2].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (١٣٥٨)، ومسلم في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... برقم (٢٦٥٨).

الشرح

هذا الحديث تفسير للآية المترجم بها للباب. وقد تقدم بيان معنى الفطرة، واختلاف الناس فيها.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعْنَاهُ كَمَا تَلِدُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً «جَمْعَاءُ»: بِالْمَدِّ؛ أَيْ: مُجْتَمِعَةُ الْأَعْضَاءِ، سَلِيمَةٌ مِنْ نَقْصٍ، لَا تُوجَدُ فِيهَا «جَدْعَاءُ» بِالْمَدِّ، وَهِيَ مَقْطُوعَةُ الْأُذُنِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْأَعْضَاءِ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْبَهِيمَةَ تَلِدُ الْبَهِيمَةَ كَامِلَةَ الْأَعْضَاءِ، لَا نَقْصَ فِيهَا وَإِنَّمَا يَحْدُثُ فِيهَا الْجَدْعُ وَالنَّقْصُ بَعْدَ وِلَادَتِهَا)[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والله سبحانه قد أنعم على عباده، من جملة إحسانه ونعمه، بأمرين هما أصل السعادة: أحدهما: أن خلقهم في أصل النشأة على الفِطْرة السليمة، فكل مولودٍ يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها، كما ثبت ذلك عن النبيِّ ﷺ، وشبَّه ذلك بخروج البهيمة صحيحة، سالمة، حتى يجدعها صاحبها. وثبت عنه أنه قال: «**يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**». فإذا تركت النفس وفطرتها، لم تؤثر على محبة باريها وفاطرها وعبادته وحده شيئًا، ولم تشرك به، ولم تجحد كماله وربوبيته، وكان أحب شيء إليها، وأطوع شيء لها، وآثر شيء عندها، ولكن يفسدها من يقترن بها من شياطين الجن والإنس بتزيينه، وإغوائه، حتى ينغمس موجبها وحكمها)[2]، وذكر الثاني.

فوائد الحديث:

١ ـ أن الفِطْرة هي الدين القيِّم، وهو الإسلام.

٢ ـ أن جميع الخلق مولود على الفطرة الأصلية.

٣ ـ أن الانحراف عن الفطرة حادثٌ بفعل خارجي.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٩).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (٢/ ٩٥٤ ـ ٩٥٥).

٤ ـ أن التهوّد، والتنصّر، والتمجّس ميلٌ عن الفطرة.

٥ ـ التعليم بضرب المثال.

٦ ـ الاستشهاد بما يوافق المعنى.



قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأنا أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهليةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» فقلتُ: وهل بعد ذلك الشرّ من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَنٌ**» قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: «**قومٌ يستنُّون بغير سنَّتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتُنكِر**» قلتُ: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، فتنة عمياء، ودعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، قلتُ: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «**قومٌ من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، قلتُ: يا رسول الله ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفِرَق كلها ولو أن تعضّ على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك**»(١)، أخرجاه. وزاد مسلم: ثم ماذا؟ قال: «**ثم يخرج الدجال معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ومن وقع في نهره، وجب وزره، وحُطَّ أجره**» قلتُ: ثم ماذا؟ قال: «**هي قيام الساعة**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر برقم (١٨٤٧).

(٢) هذه الزيادة أخرجها أبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها =

الشرح

حديث حذيفة في الفتن، حديث عظيم تُفرَد له مجالس، وتُصنَّف فيه شروح. وقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه معنيًّا بأمر الفتن، والسؤال عنها، وكان النبي ﷺ يمدُّ له في الجواب لما علم من حرصه على هذا الباب، ومن أتم أحاديث الفتن هذا الحديث.

قوله: «وفيه دَخَنٌ» الدخن هو ما يعتري الشيء ويغشاه من الكدورة، بمنزلة الدخان من النار.

قوله: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتُنكِر» هذا محل الشاهد من الحديث، وهم أهل الأهواء والبدع المخلطين. ونقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض قوله: (الْمُرَادُ بِالشَّرِّ الْأَوَّلُ: الْفِتَنُ الَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ عُثْمَانَ. وَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ الَّذِي بَعْدَهُ: مَا وَقَعَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَالْمُرَادُ بِالَّذِينَ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ: الْأُمَرَاءُ بَعْدَهُ فَكَانَ فِيهِمْ؛ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِالسُّنَّةِ وَالْعَدْلِ، وَفِيهِمْ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْبِدْعَةِ، وَيَعْمَلُ بِالْجَوْرِ. قُلْتُ: وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالشَّرِّ الْأَوَّلِ: مَا أَشَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ الْأُولَى، وَبِالْخَيْرِ مَا وَقَعَ مِنَ الِاجْتِمَاعِ مَعَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَبِالدَّخَنِ: مَا كَانَ فِي زَمَنِهِمَا مِنْ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ؛ كَزِيَادٍ بِالْعِرَاقِ، وَخِلَافِ مَنْ خَالَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَبِالدُّعَاةِ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ: مَنْ قَامَ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ. وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: «**الْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»؛ يَعْنِي: وَلَوْ جَارَ)(١).

وعبارة النبي ﷺ وصفٌ دقيقٌ يتناول كل من حاد عن السُّنَّة، ورغب عن الهدي النبوي، فيدخل في ذلك المتكلمون، الذين اعتمدوا المنطق اليوناني في تقرير العقائد، واعتمدوا مقدمات عقلية مشوبة، فأصابوا، وأخطأوا، وتركوا طريقة السلف في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة.

= برقم (٤٢٤٤) وحسنه الألباني. وليست في مسلم كما أشار المصنف.

(١) فتح الباري (١٣/٣٦).

قوله: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» فهذا ينطبق على الفرق الباطنية، التي عبثت بالنصوص، وزعمت أنَّ لها ظهرًا وبطنًا، وصاروا يؤولونها تأويلًا متعسفًا، فهؤلاء زنادقة كفار ولا ريب.

قوله: «قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»؛ أي: من قومنا، وأهل لسانا، وينتسبون لملتنا.

قوله: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» النصوص في لزوم الجماعة، كثيرة، منها حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ»**(١).

قوله: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك»؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَطَاعَةِ سَلَاطِينِهِمْ وَلَوْ عَصَوْا، قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: الْمَعْنَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةٌ فَعَلَيْكَ بِالْعُزْلَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى تَحَمُّلِ شِدَّةِ الزَّمَانِ، وَعَضُّ أَصْلِ الشَّجَرَةِ كِنَايَةٌ عَنْ مُكَابَدَةِ الْمَشَقَّةِ كَقَوْلِهِمْ: فُلَانٌ يَعَضُّ الْحِجَارَةَ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ أَوِ الْمُرَادُ اللُّزُومُ كَقَوْلِهِ فِي الحَدِيث الآخر: **«عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**، وَيُؤَيِّدُ الْأَوَّلَ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: **«فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جذل خير لَك من أَن تتبع أحدًا مِنْهُم»**)(٢).

وقال ابن رجب رحمه الله: (وقد اعتزل جماعة من أصحابه في الفتن في البوادي. وقال الإمام أحمد: إذا كانت الفتنة فلا بأس أن يعتزل الرجل حيث شاء، فأما إذا لم يكن فتنة فالأمصار خير. فأما سكنى البوادي على وجه العبادة وطلب السياحة والعزلة فمنهي عنه)(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم (٢١٦٦)، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٦٢١)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري (١٣/٣٦، ٣٧).

(٣) فتح الباري، لابن رجب (١/١٠٩).

قوله: «ثم يخرج الدجال معه نهر ونار»؛ أي: شيء يغري ويخوف. وجاء أن معه جبال من خبز ولحم، ونهر من ماء[1]، وإغراءات كثيرة، ذكرها النبي ﷺ في أحاديث عدة، ولذلك أمرنا بالاستعاذة من فتنته في كل صلاة.

قوله: «فمن وقع في ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ومن وقع في نهره، وجب وزره، وحُطَّ أجره» لأنَّه يُخيَّل إليه أنَّه نار، وهو في الواقع يقع في الجنة، والعكس بالعكس. وهذا يدل على وجوب الاعتصام بخبر المعصوم، وعدم الاغترار بالدجل بأي شكلٍ من الأشكال، إلى أن يؤول الدجل إلى الدجال الأكبر.

۞ فوائد الحديث:

١ ـ حرص حذيفة رضي الله عنه على اتقاء الفتن، والبدع.

٢ ـ سنة الله الكونية في المداولة بين الخير والشر، والحق والباطل.

٣ ـ علم من أعلام النبوة.

٤ ـ أن من الخير ما يكون مشوبًا بِشَرٍّ، من خروجٍ عن السُّنَّة، وظهور البدعة.

٥ ـ ضرورة التمييز بين الخير ودخنه.

٦ ـ خطر المنافقين المندسين الداعين إلى الفتنة والكفر.

٧ ـ وجوب لزوم جماعة المسلمين، وطاعة إمامهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم.

٨ ـ الاعتزال عند عدم الجماعة والإمام، والحذر من الانخراط في الفرق المختلفة.

٩ ـ إثبات خروج الدجال، والحذر من فتنته، وأنه من علامات الساعة الكبرى.

١٠ ـ حُسن عاقبة الاعتصام بالإسلام، ولزوم السُّنَّة.



---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله ﷻ برقم (٢٩٣٩).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو العالية: تعلَّموا الإسلام، فإذا تعلَّمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنَّه الإسلام، ولا تُحرِّفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنة نبيكم ﷺ، وإياكم وهذه الأهواء[1] انتهى.

الشرح

أبو العالية: رُفيع بن مهران، الرياحي، ثقة، مات سنة تسعين، وقيل بعد ذلك. رَحِمَهُ اللَّهُ. وقد تضمَّنت وصيته عدة أمور:

أولًا: الأمر بتعلُّم الإسلام: عقيدةً، وشريعةً، وخُلقًا، وسلوكًا. والنصوص في الحثِّ على العلم شهيرة.

ثانيًا: الثبات عليه: وعدم الزهد به، كما يقع لبعض طلبة العلم؛ يكون في مبدأ أمره مقبلًا على الطلب، والتفقه في الدين، ثم يستهويه شيء من العلوم الأخرى، فيزهد بعلوم الشريعة، ويشتغل بعلوم مفضولة، أو ينصرف عن العلم جملةً وتفصيلًا.

ثالثًا: لزوم الصراط المستقيم: وهو أصل الملة والتوحيد والإيمان، كما ندعوه تعالى في كل ركعة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

رابعًا: الحذر من الانحراف عنه: كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

خامسًا: لزوم السُّنَّة: كما قال ﷺ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[2].

سادسًا: الحذر من الأهواء: وهي المقالات البدعية التي تستهوي من

(١) البدع لابن وضاح برقم (٧٦)، والسُّنَّة للمروزي برقم (٢٦)، والشريعة للآجري برقم (١٩)، والإبانة الكبرى لابن بطة برقم (٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في باب الترغيب في النكاح، برقم (٥٠٦٣).

سبق له من الله السوء. فلا تغترّ بها، وعليك بالأمر الأول، وهو الدين العتيق، الذي جاء به الكتاب والسُّنَّة، وفهِمه السلف الصالح، وما كان سوى ذلك فلا تلتف إليه.



قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ:

❁ تأمل كلام أبي العالية ـ رحمه الله تعالى ـ هذا، ما أجلَّه! واعرف زمانه الذي يحذِّر فيه من الأهواء التي من اتبعها فقد رَغِبَ عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسُّنَّة، وخوفه على أعلام التابعين وعلمائهم من الخروج عن السُّنَّة والكتاب، يتبيَّن لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وأشباه هذه الأصول الكبار التي هي أصل الأصول، والناس عنها في غفلة، وبمعرفته يتبيَّن معاني الأحاديث في هذا الباب وأمثالها.

❁ وأما الإنسان الذي يقرؤها، وأشباهها، وهو آمنٌ مطمئنٌ أنَّها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا، فبانوا، ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

الشرح

نبَّه المصنف رَحِمَهُ اللهُ على ما تضمَّنه كلام أبي العالية رَحِمَهُ اللهُ من وصايا وعِظَات للرعيل الأول من التابعين، فكيف بمن بعدهم! ولفت النظر إلى مسألةٍ مهمة؛ وهي أنَّ من الناس من لا يكترث بأمر التوحيد، ولا يخاف من الشرك،

ويظنَّ أنَّه قد نجا وجاز القنطرة، وأنَّه قد حقق التوحيد، وسَلِمَ من الشرك، مع أنَّ إبراهيم عليه السلام وهو إمام الموحدين في الأولين، يقول داعيًا ربّه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]، فمن يأمن الشرك بعد إبراهيم؟



قال المصنف رحمه الله:

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سُبل، على كلِّ سبيل منها شيطان، يدعو إليه**»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)]، رواه أحمد، والنسائي.

الشرح

كان ﷺ يجتهد في البيان، حتى إنَّه يخطّ الرسوم التوضيحية، لتقريب العلم، ويستشهد بالآيات الدالة على المعنى. فنسأل الله عز وجل أن يلزمنا سبيله، وأن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها، وما بطن.

فوائد الحديث:

١ ـ حرص النبي ﷺ على البيان، واستعمال الوسائل التوضيحية.

٢ ـ أن دين الإسلام هو الصراط المستقيم، الموافق للعقل والفطرة.

٣ ـ الحذر من استزلال الشياطين بسلوك السبل المعوجة.

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١١٧٤)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (٤١٤٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم (١٦٦).



باب (١٢)

ما جاء في غربة الإسلام، وفضل الغرباء

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

❁ باب: ما جاء في غربة الإسلام، وفضل الغرباء:

❁ وقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦] الآية.

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»(١)، رواه مسلم. ورواه أحمد من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: ومن الغرباء؟ قال: «النزَّاع من القبائل»(٢). وفي رواية: «الغرباء الذين يُصْلِحون إذا فسد الناس»(٣). ورواه أحمد: من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: «فطوبى يومئذٍ للغرباء، إذا فسد الناس»(٤). وللترمذي: من حديث كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، أنَّه قال: «فطوبى للغرباء الذين يصلحون

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين برقم (١٤٥).

(٢) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (٣٧٨٤)، وقال محققو المسند: «إسناد أحمد صحيح على شرط مسلم».

(٣) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٦٦٩٠)، وقال محققو المسند: «إسناده ضعيف جدًّا بهذه السياقة».

(٤) أخرجه أحمد، ط. الرسالة برقم (١٦٠٤)، وقال محققو المسند: «إسناده جيد».

ما أفسد الناس من سنتي»[(١)].

الشرح

عقد المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب ليشد من أزر المتمسِّكين بالكتاب والسُّنَّة؛ فلا يشعروا بالاستيحاش من قلة السالك. والغربة تشمل:

- **الغربة الحسيَّة**: لقلة العدد؛ كالسابقين إلى الإسلام في مكة، أو كحال بعض الأقلِّيات المسلمة في بلاد الكفر.

- **الغربة المعنوية**: باستنكار الدين الصحيح، مع كثرة المتسمِّين به؛ كالمتمسِّك بالسُّنَّة بين أهل البدع.

قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهلَّا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض. وَقَوْلُهُ: «إِلا قَلِيلًا»؛ أَيْ: قَدْ وُجِدَ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَلِيلٌ، لَمْ يَكُونُوا كَثِيرًا، وَهُمُ الَّذِينَ أَنْجَاهُمُ اللهُ عِنْدَ حُلُولِ غِيَره، وَفَجْأَةِ نِقَمه. وَلِهَذَا أَمَرَ تَعَالَى هَذِهِ الْأُمَّةَ الشَّرِيفَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وَفِي الْحَدِيثِ: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابٍ»**[(٢)]، فهذه الآية تفيد أنَّ الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، على مرِّ القرون قلة، وأنَّ هذه القلة هم الناجون في كلِّ جيلٍ وقبيل.

وقد ذكر الله تعالى قصة أصحاب السبت؛ وأنَّ طائفة انتهكت محارم الله، وأنَّ طائفة أنكرت عليهم ونهتهم، وأنَّ طائفةً ثالثةً سكتت، ثم ذكر الله نجاة

---

(١) أخرجه الترمذي، ت: شاكر، في أبواب الإيمان، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا برقم (٢٦٣٠)، وقال الألباني: «ضعيف جدًّا».

(٢) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٤/ ٣٦٠، ٣٦١).

الذين ينهون عن السوء، وذكر هلاك من سواهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥]. فصار الهلاك يعمُّ الفاعل والساكت. فعلى المؤمن الناصح لنفسه أن يقوم بما أوجب الله تعالى عليه، من إظهار السُّنَّة والأمر بها، والنهي عن البدعة، والتحذير منها.

قوله: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قد كان الإسلام رجلًا واحدًا، هو رسول الله ﷺ، ثم صار اثنين، ثم ثلاثة، ثم أربعة، حتى أنَّ بعضهم كان يقول: أنا ربع الإسلام، أنا سدس الإسلام، وذلك في أوله، إلى أن بلغ الأمر ما وصف الله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾﴾ [النصر: ٢]. وأخبر النبي ﷺ بأنَّ الله زوى له الأرض، فرأى مشارقها ومغاربها، وأخبر أنَّ ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها[1]، فزالت الغربة الأولى وانقشعت، كما شرط الله، ووعد، ووفى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]. فأخبر من لا ينطق عن الهوى ﷺ أنه سيعود غريبًا كما بدأ؛ وأنَّ الدين يأرز بعد ذلك ما بين البلدتين، مكة والمدينة، إلى أن ينحسر، فيرسل الله الريح الطيبة، فتقبض أرواح المؤمنين، فلا يبقى على وجه الأرض مؤمن، وتقوم الساعة على قوم لا يقولون: الله الله، كما في الحديث: «**ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة**»[2].

قوله: «النزَّاع من القبائل» نقل القاضي عياض عن الهروي قوله: (أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله، وسمَّى الغريب نازعًا ونزيعًا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض برقم (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٧).

لأنه نزع عن أهله وعشيرته وبَعُدَ عن ذلك)[١]. وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ، فقد ساق الله تعالى إليه أبا بكر القرشي، وأبا ذر الغفاري، وبلال الحبشي، وصُهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وأمثالهم، وهم صفوة الخلق في ذلك الوقت؛ ليكونوا وزراءه، وأعوانه، فكانوا في بادئ الأمر قلّة غرباء.

قوله: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»؛ أي: أنهم باقون على الصلاح في عقائدهم، وأعمالهم.

قوله: «فطوبى يومئذٍ للغرباء، إذا فسد الناس» قال ابن الأثير: (طوبى: اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها. وأصلها «فعلى» من الطيب، فلما ضُمَّت الطاء انقلبت الياء واوًا)[٢].

قوله: «طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي»؛ أي: أن صلاحهم ليس قاصرًا على أنفسهم؛ بل هم صالحون في ذواتهم، مصلحون لغيرهم، فهم يحيون السُّنَّة الصحيحة، ويردون البدعة الحادثة. فلا يُعدُّ صالحًا من لا يتمعَّر وجهه غضبًا لحرمات الله، ولا يُعدُّ صالحًا من يرى حرمات الله تُنتهك ثم لا يحرك ساكنًا؛ بل لا بدَّ أن يسعى في تغيير المنكر حسب المراتب الشرعية، كما في حديث أبي سعيد قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**[٣]. وهذه المراتب إنَّما تأتي بعد البيان، والدعوة؛ فإنَّه لا يكون مُنكرًا في حقِّه وهو جاهل، كما أنَّ الذي يدعو إلى الله ﷻ ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يحتاج إلى ثلاثة شروط: شرط قبله، وشرط معه، وشرط بعده؛ فالشرط الذي قبله: العلم، والذي معه: الرفق، والذي بعده: الصبر، وإلا أفسد أكثر مما أصلح.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٤٥٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٤١).

(٣) أخرجه مسلم في باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم (٤٩).

❁ **فوائد الحديث:**

١ ـ سُنَّة الله الكونية في غُربة الدين.

٢ ـ فضيلة الغرباء.

٣ ـ أن وصف الغُربة في الدين يجمع معنى الصلاح والإصلاح.

٤ ـ أن الخروج عن السُّنَّة إفساد، والرد إليها إصلاح.



ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

❁ وعن أبي أمية أنَّه قال: سألت أبا ثعلبة رضي الله عنه: كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟

❁ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شُحًّا مطاعًا، وهوًى متَّبعًا، ودنيا مُؤْثَرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام؛ فإنَّ من ورائكم أيامًا، الصابر فيهنَّ مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا، يعملون مثل عملكم**»، قلنا: منَّا أم منهم؟ قال: «**بل منكم**»[1]، رواه أبو داود والترمذي.

❁ وروى ابن وضاح معناه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «**إنَّ من بعدكم أيامًا للصابر فيها، المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم،**

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] برقم (٤٠١٤)، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي برقم (٤٣٤١)، والترمذي، ت: شاكر، في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة برقم (٣٠٥٨)، وقال الألباني: «ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة».

له أجر خمسين منكم»[١].

ﷺ ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد، قال: أنبأنا أسد، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قال: قلت لسفيان: عن النبي ﷺ؟ قال: نعم، قال: «**إنكم اليوم على بينةٍ من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتَنْهَوْنَ عن المنكر، وتجاهدون في الله، ولم تظهر فيكم السَّكرتان: سَكرةُ الجهل، وسَكرةُ حُبِّ العيش، وستُحوَّلون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان؛ فالمتمسك يومئذٍ بالكتاب والسُّنَّة له أجر خمسين**»، قيل: منهم؟ قال: «**لا؛ بل منكم**»[٢]. وله بإسناد عن المعافري أنَّه قال: قال: رسول الله ﷺ: «**طوبى للغرباء الذين يمسِّكون بكتاب الله حين يُترَك، ويعملون بالسُّنَّة حين تُطفَأ**»[٣].

الشرح

هذا الحديث بيان لمعنى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، وتصحيح لخطأ فهم بعض الناس من هذه الآية، فتجده إذا رأى من ينكر منكرًا ثبَّطه، وقال: دعه! ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ يظنُّ أنَّ هذا معنى الآية. والأمر ليس كذلك.

قوله: «**أما والله، لقد سألت عنها خبيرًا**» قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر: ١٤]، ويقال في الأمثال: على الخبير سقطت. وإنما وصف نفسه بذلك لما حصل له من العلم النبوي.

قوله: «**بل**» للإضراب، كأنَّ النبي ﷺ شعر أنَّ السائل فهم غير مراد الله.

(١) البدع، لابن وضاح برقم (١٨٩).
(٢) البدع، لابن وضاح برقم (١٩٠).
(٣) البدع، لابن وضاح برقم (١٦٩).

قوله: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر» كما أمر الله في كتابه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قوله: «حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مؤثَرة، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام»؛ أي: أنَّه لا يصار إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا باجتماع هذه الآفات:

١ ـ الشح المطاع: والشح بخل مصحوب بحرص، يطيعه بنفسه ويطيعه غيره.

٢ ـ الهوى المتبع: الهوى نقيض الهدى، فيقدم ما تهواه النفوس على مقتضى الكتاب والسُّنَّة.

٣ ـ الدنيا المؤثرة: المقاصد الدنيوية؛ من مال، أو جاه، مقدمة على مقاصد الآخرة.

٤ ـ الإعجاب بالرأي: استحسان كل أحد لرأيه، وتسفيهه لرأي غيره، فيكثر الخلاف.

ومن الناس من يستعجل، وينزِّل هذا الوصف في غير محله، وقبل أوانه، ويفرط في التشاؤم، ويقول: هلك الناس! وقد قال النبي ﷺ: **«من قال: هلك الناس، فهو أهلَكُهُم»**(١)، وقوله: **«فهو أهلكهم»** روي على **وجهين مشهورين:**

١ ـ رفع الكاف: «فهو أهلكُهم» والرفع أشهر، ومعناه: أشدهم هلاكًا.

٢ ـ فتح الكاف: «فهو أهلكَهم» ومعناها: هو جعلهم هالكين، لا أنهم هلكوا في الحقيقة.

وهذا الذمُّ إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم، فأما من قال ذلك تحزنًا لما يرى في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، برقم (٢٦٢٣).

نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين، فلا بأس عليه. فلا يجوز لأحدٍ أن يبالغ في تهويل ما آل إليه الناس، حتى ولو كان بدافع الموعظة؛ لأنَّ هذا يفتُّ في الأعضاد، ويشيع اليأس والإحباط؛ بل عليه أن يكون متزنًا، معتدلًا فيما يقول، فإنَّ في المجتمع خيرًا كثيرًا، وقربات، وصلوات، وعبادات، وأمورًا صالحات، بحمد الله، وإن وقع منكرات وفساد.

قوله: «فإنَّ من ورائكم أيامًا، الصابر فيهنَّ مثل القابض على الجمر»؛ أي: قدامكم، وأمامكم أيام شدة وابتلاء، لا حيلة لكم فيها إلا الصبر، يعاني الصابر فيها من المشقة ما يعاني قابض الجمر.

قوله: «للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا، يعملون مثل عملكم»؛ أي: المتمسك بالسُّنَّة المحضة يُثاب على عمله ثواب عمل خمسين من الصحابة المخاطبين، لكن الفضل الجزئي لا ينافي الفضل الكلي.

ومن الناس مَن يبالغ في تصوير ما يلقى، فحين يندب للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يقول: حاولنا، وفعلنا، وعجزنا! وكأنَّما هو نوح عليه السلام إذ يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٥، ٦]، وهو لم يلق في ذات الله شيئًا يُذكر، فعلى الإنسان أن يتقي الله عز وجل، وإذا أمكنه أن يأمر وينهى فليفعل.

قوله: «إنَّكم اليوم على بينةٍ من ربكم، تأمرون بالمعروف، وتَنْهَوْنَ عن المنكر، وتجاهدون في الله» هذا كان حال الرعيل الأول من هذه الأمة، فكانوا على هذه الصفة من إقامة الدين، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فتحقق هذا في صدر هذه الأمة.

قوله: «ولم يظهر فيكم السكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش»؛ أي: الشهوات والشبهات، فالشبهات بسبب الجهل، والشهوات بسبب حب العيش. وسمَّاهما سكرة لأنهما تغشيان العقل والقلب، فتطمس البصيرة. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر: ٧٢].

قوله: «وستحوَّلون عن ذلك، فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن

المنكر، ولا تجاهدون في الله، وتظهر فيكم السكرتان، فالمتمسك يومئذٍ بالكتاب والسُّنَّة له أجر خمسين» قيل: منهم؟ قال: «لا؛ بل منكم» فهذا الحديث، وإن كان ضعيف الإسناد، لكنه صحيح المعنى، تؤيده الأحاديث الأخرى الدالة على التضعيف لمن كان في أيام الصبر، كما يؤيده الواقع الذي ألَمَّ بالمسلمين.

قوله: «طوبى للغرباء الذين يمسِّكون بكتاب الله حين يُترَك، ويعملون بالسُّنَّة حين تُطفَأ» إسناده ضعيف كذلك، ومعناه صحيح، يشهد له ما تقدم من أحاديث صحاح.

۞ فوائد الأحاديث:

١ ـ وجوب لزوم الهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو هجره الناس.

٢ ـ رفع الضرر عن المتمسك بالهدى، ولزوم السُّنَّة.

٣ ـ عدم التعجل بترك الأمر والنهي، قبل استنفاد أسبابهما، وثبوت موانعهما.

٤ ـ أن الشحَّ المطاع، والهوى المتبع، والدنيا المؤثرة، والإعجاب بالرأي، مسوغة للعزلة، وترك الناس.

٥ ـ فضيلة الصبر على الحق، ولزوم السُّنَّة، في أوقات الغربة، وعظيم أجره.

٦ ـ أن الجهل، وحب العيش، سكرتان تغشيان العقل والقلب.

٧ ـ فضل صدر هذه الأمة، وفضل الصابرين من آخرها.





باب (١٣)

التحذير من البدع

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿ باب: التحذير من البدع:

﴿ عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة، وَجِلَت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد، وإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي؛ عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدَثات الأمور، فإنَّ كل بدعةٍ ضلالة**»(١)، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

الشرح

هذا حديث عظيم ختم به المصنف كتابه الذي جلّى فيه فضل الإسلام وحقيقته، بالتحذير مما يخالفه من البدع المحدثة.

قوله: «**وعظنا**» قال ابن فارس: (الواو والعين والظاء كلمة واحدة. فالوعظ التخويف، والعِظة: الاسم منه. قال الخليل: هو التذكير بالخير وما

---

(١) أخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين برقم (٤٢)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة برقم (٤٦٠٧)، والترمذي، ت: شاكر، في أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦)، وأحمد، ط. الرسالة برقم (١٧١٤٥)، وصححه الألباني.

يرق له قلبه)[1]، والقرآن كله موعظة، كما قال الله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٢]، فلا موعظة أعظم من موعظة القرآن والسُّنَّة. فينبغي للإنسان أن يستلين قلبه بين الفينة والأخرى، إذا تراكمت عليه الغفلة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦، ١٧]، فنبَّه على حياة القلوب بوحي السماء، بحياة الأرض بقطر السماء.

وطالب العلم يحتاج لذلك، فإن استغراق طالب العلم في بعض المسائل البحثية والفقهية أحيانًا قد ينشأ عنه قسوة من جراء إعمال الذهن والعقل، وعدم استلانة القلب، فما أحوجنا إلى الموعظة.

قوله: «وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون» حبَّذا هذه الموعظة البليغة التي وعظ بها النبي ﷺ أصحابه. وفيض العيون من معين القلوب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

قوله: «كأنَّما هي موعظة مودِّع فأوصنا» قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ ﷺ قَدْ أَبْلَغَ فِي تِلْكَ الْمَوْعِظَةِ مَا لَمْ يُبْلِغْ فِي غَيْرِهَا، فَلِذَلِكَ فَهِمُوا أَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَإِنَّ الْمُوَدِّعَ يَسْتَقْصِي مَا لَمْ يَسْتَقْصِ غَيْرُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ؛ لِأَنَّهُ مَنِ اسْتَشْعَرَ أَنَّهُ مُوَدِّعٌ بِصَلَاتِهِ، أَتْقَنَهَا عَلَى أَكْمَلِ وُجُوهِهَا. وَلَرُبَّمَا كَانَ قَدْ وَقَعَ مِنْهُ ﷺ تَعْرِيضٌ فِي تِلْكَ الْخُطْبَةِ بِالتَّوْدِيعِ، كَمَا عَرَّضَ بِذَلِكَ فِي خُطْبَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَقَالَ: «لَا

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٠٥٩).

أَدْرِي، لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي» هَذَا وَطَفِقَ يُوَدِّعُ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ)(١).

قوله: «أوصيكم بتقوى الله» لأنَّها وصية الله للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**اتقِّ الله حيثما كنت**»(٢)، وهي خشية تجعل بينه وبين عذاب الله وقاية؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله: «والسمع والطاعة» لمَّا وعظهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم، ثنَّى بالأمر العام، إذ لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، فلا بدَّ من اجتماع، ولا بدَّ من طاعة، فلا يصلح أن يستقلَّ كلَّ إنسان برأيه، ويشذُّ عن الجماعة.

قوله: «وإن تأمَّر عليكم عبد»؛ أي: لا يحملنَّكم استنكاف أن تسمعوا وتطيعوا لمن وُلِّي عليكم، فعن أبي ذر ﷺ قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»(٣).

قوله: «وإنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي»؛ قال ابن رجب رحمه الله: (هَذَا إِخْبَارٌ مِنْهُ ﷺ بِمَا وَقَعَ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَهُ مِنْ كَثْرَةِ الِاخْتِلَافِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَفِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالِاعْتِقَادَاتِ، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنَ افْتِرَاقِ أُمَّتِهِ عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّهَا كُلَّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ، وَكَذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَمْرٌ عِنْدَ الِافْتِرَاقِ وَالِاخْتِلَافِ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَالسُّنَّةُ: هِيَ الطَّرِيقَةُ الْمَسْلُوكَةُ، فَيَشْمَلُ ذَلِكَ التَّمَسُّكَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ الْكَامِلَةُ، وَلِهَذَا كَانَ

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١١٥).

(٢) أخرجه الترمذي، ت: شاكر، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس برقم (١٩٨٧)، وحسَّنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار، برقم (٦٤٨).

السَّلَفُ قَدِيمًا لَا يُطْلِقُونَ اسْمَ السُّنَّةِ إِلَّا عَلَى مَا يَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَرُوِيَ مَعْنَى ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ يَخُصُّ اسْمَ السُّنَّةِ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالِاعْتِقَادَاتِ؛ لِأَنَّهَا أَصْلُ الدِّينِ، وَالْمُخَالِفُ فِيهَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَفِي ذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأُولِي الْأَمْرِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِأُولِي الْأَمْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ، كَمَا صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»)[1].

والمقصود بالخلفاء الراشدين: كلُّ من خلف النبي ﷺ في أمته بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأولهم دخولًا في هذا الخلفاء الأربعة، فلهذا يقال: سنة راشدية، وسنة عمرية راشدية.

قوله: «عضُّوا عليها بالنواجذ» النواجذ: الأضراس؛ لأنَّ من عضَّ على الشيء بنواجذه، فقد استمسك به، ليس كمن يعض عليه بالثنايا أو بالرَّباعيات، فهو كناية عن شدة التمسك بها.

قوله: «وإياكم ومُحدَثات الأمور» في الدين، وهي البدع، وتقدم تعريفها.

قوله: «فإنَّ كل بدعةٍ ضلالة» جملة تعليلية لما سبق من تحذير. ولو كان فيها خيرًا لدلَّنا عليها النبي ﷺ، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَوْلُهُ ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِقَوْلِهِ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا، وَنَسَبَهُ إِلَى الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهُوَ ضَلَالَةٌ، وَالدِّينُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَسَائِلُ الِاعْتِقَادَاتِ، أَوِ الْأَعْمَالُ، أَوِ الْأَقْوَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ.

وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي كَلَامِ السَّلَفِ مِنَ اسْتِحْسَانِ بَعْضِ الْبِدَعِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي

---

(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١٢٠، ١٢١).

الْبِدَعِ اللُّغَوِيَّةِ، لَا الشَّرْعِيَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه لَمَّا جَمَعَ النَّاسَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَخَرَجَ وَرَآهُمْ يُصَلُّونَ كَذَلِكَ فَقَالَ: نِعْمَتُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ. وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنْ كَانَتْ هَذِهِ بِدْعَةٌ، فَنِعْمَتُ الْبِدْعَةُ. وَرُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْبٍ، قَالَ لَهُ: إِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ، فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ عَلِمْتُ، وَلَكِنَّهُ حَسَنٌ، وَمُرَادُهُ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ، وَلَكِنَّ لَهُ أُصُولٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ يُرْجَعُ إِلَيْهَا) وذكر أمثلة[1].

فوائد الحديث:

١ ـ شفقة النبي ﷺ على أمته، وكمال نصحه لأصحابه.

٢ ـ أهمية الوعظ، وعظيم أثره على القلوب، والتحذير من التهوين من شأنه.

٣ ـ كمال إيمان الصحابة، ورقة قلوبهم.

٤ ـ طلب الوصية ممن هو أهل لها.

٥ ـ البداءة بالوصية بتقوى الله.

٦ ـ وجوب السمع والطاعة بالمعروف لأولي الأمر، وتحريم منابذتهم، والخروج عليهم.

٧ ـ سنة الله في التفرق والاختلاف.

٨ ـ الأمر بالاعتصام بالسُّنَّة النبوية، والراشدية، وشدة التمسك بها.

٩ ـ فضيلة الخلفاء الراشدين، وأن سنتهم متبعة.

١٠ ـ الحذر من البدع والمُحدَثات بأنواعها.

١١ ـ أن البدع لا تورث إلا الضلال.

١٢ ـ أنه ليس في البدع بدعة حسنة؛ بل كلها ضلالة.



(١) جامع العلوم والحكم، ت: الأرنؤوط (٢/ ١٢٨).

ثم قال المصنف رحمه الله:

ﷺ وعن حذيفة: أنَّه قال: «كل عبادة لا يتعبَّدها أصحاب محمد فلا تعبَّدوها، فإنَّ الأول لم يدع للآخر مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القرَّاء، وخذوا طريق من كان قبلكم»(١)، رواه أبو داود.



الشرح

هذا يدل على لزوم طريقة الصحابة ـ رحمهم الله ـ، ولزوم فهمهم، وعملهم؛ فإنهم شاهدوا التنزيل، وعلموا التأويل. ومن الناس من يسوِّغ لنفسه فَهْمَ النصوص وَفْقَ ما يشتهي، والواجب اتباع سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، وقد تقدم نحوه.

❁ ❁ ❁

---

(١) هكذا عزاه المصنف لأبي داود فقط، دون ذكر السنن، وعزاه غيره لأبي داود في السنن؛ كأبي شامة في الباعث (ص٧٠، ٧١)، والسيوطي في الأمر بالاتباع (ص٦٢)، والقاسمي في إصلاح المساجد (ص١٤). ولم نجده في سنن أبي داود في النسخ المتاحة لدينا، وهو في الزهد لأبي داود؛ بلفظ: «عن همام بن الحارث، قال: مرَّ علينا حذيفة، ونحن في حلقةٍ في المسجد نتحدث، فقال: يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، والله لئن سلكتموه لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن اتخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا». وتقدم.
وأخرجه بالسياق الذي ذكره المصنف: الطرطوشي في الحوادث والبدع (ص١٤٩)، وأبي شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (ص١٦)، والشاطبي في الاعتصام (٣/ ٣٨)، وبنحوه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٦٥١ و١٨٩٨٥)، والبخاري (٧٢٨٢) نحوه مختصرًا، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (١٠ و١١ و١٢ و١٥ و١٦)، وعبد الله في السُّنَّة (١٠٦)، ومحمد بن نصر المروزي في السُّنَّة (٨٦ و٨٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨٠٩)، وابن بطة في الإبانة (١٩٦ و١٩٧)، واللالكائي (١١٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٠)، والخطيب في تاريخه (٣/ ٤٤٦).

ثم قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ﷺ وَقال الدارمي: أخبرنا الحكم بن المبارك، قال: أنبأنا عمرو بن يحيى، قال: سمعتُ أبي يحدِّث عن أبيه أنَّه قال: كنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: أخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمٰن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمٰن، إني رأيتُ آنفًا في المسجد أمرًا أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيتُ في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كلِّ حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبِّروا مائة، فيكبِّرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فيهلِّلون مائة، فيقول: سبِّحوا مائة، فيسبِّحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئًا، انتظار رأيك، أو قال: انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتِحو باب ضلالة؟!

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمٰن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم

من مريدٍ للخير لن يصيبه، إنَّ رسول الله ﷺ حدَّثنا أنَّ قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولَّى عنهم، فقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج[١]. والله المستعان، وعليه التكلان.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

الشرح

مسك الختام لهذا الكتاب النافع، هذه القصة العجيبة، التي تعطينا فَهْمًا تطبيقيًّا لمفهوم البدعة، فإن أبا عبد الرحمٰن، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، من أجلَّة أصحاب النبي ﷺ، ومن أفقه الصحابة، وأقربهم هديًا، وسمتًا، ودلًّا برسول الله ﷺ حتى إنَّ كلامه رضي الله عنه يشتبه بكلام النبي ﷺ، فيقال: موقوف أو مرفوع؟ وكان أصحابه في الكوفة، يجتمعون عند بابه، قبل صلاة الفجر، ينتظرون خروجه ليصحبوه؛ لأنَّهم يستفيدون منه علمًا، لا لمجرد الموكب والمتابعة، حتى إن أبا موسى الأشعري، على جلالة قدره، قصد بيته لأمر أقلقه وأزعجه، ليسأله، وهذا يدل على أدب الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وتقدير بعضهم لبعض، فأبو موسى يرجع إلى من هو أعلم منه، وأسبق إلى الإسلام، ولم يقل: كيف أرجع إلى صحابي مثلي؟ كما يجري أحيانًا بين الأقران من طلبة العلم. فتفطَّن لها يا طالب العلم، ولا يحملنَّك علمٌ أصبته أن تترفع على إخوانك، أو ترى لنفسك فضلًا، أو تتحسس من النواحي الاعتبارية فتقول: لماذا قُدِّم فلان؟ ولماذا صُدِّر فلان؟ بل طهِّر قلبك، واعلم ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٣].

فقصَّ عليه أبو موسى ما رأى، وانتظر ما يكون منه، وهذا يدل على أنَّ

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه برقم (٢١٠)، وقال المحقق: حسين سليم أسد الداراني: «إسناده جيد».

الإنسان ينبغي أن يرجع إلى أهل العلم فيما أشكل عليه، فأرشده إلى ما كان ينبغي أن يقول، ولم يعنِّف عليه.

قوله: «حتى أتى إحدى تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما الذي أراكم تصنعون؟» ينبغي لمن أراد الإنكار أن يسأل أولًا، حتى يتبيَّن، ويستنطق من وقع منه ذلك، فلعل في الأمر شيء لم يعلمه.

قوله: «قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن، حصى نعدُّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء» نعم وحُقَّ له أن يضمن؛ لأنَّ الله ﷻ قال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

قوله: «ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم؟!»؛ أي: ما أسرع ما يدبُّ فيكم الهلاك. وهذا توبيخ.

قوله: «هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون»؛ أي: كُثُر بين ظهرانيكم، يسعكم أن تذهبوا وتسألوهم، أما أن تبتدئوا أمرًا لم تُسبقوا إليه، وتُحدِثوا في الدين ما ليس منه، فلا عذر لكم.

قوله: «وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر»؛ أي: العهد بالنبي ﷺ قريب.

قوله: «والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة!»؛ أي: أن صنيعكم لا يخلو من أحد احتمالين، ولا شك أنَّه الثاني، وأنَّهم قد افتتحوا باب ضلالة، وهي البدعة. فإن كل بدعةٍ ضلالة. فقد كان الأمر واضحًا جليًّا لدى فقيه الصحابة عبد الله بن مسعود، أنَّ هذا إحداثٌ في الدين، ولو كان خيرًا لسبق إليه أصحاب محمد ﷺ.

قوله: «والله يا أبا عبد الرحمٰن ما أردنا إلا الخير» هذا عذر كل مبتدع، فحين تنكر على بعض المبتدعة إقامة الموالد، مثلًا، يقولون: ما أردنا إلا الخير، نريد أن نصلي على النبي ﷺ، ونوقره، ونتذكر سيرته، إلى آخره.

قوله: «**فقال: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه!**» وهذه ذهبت مثلًا، وصارت حكمة.

قوله: «**إنَّ رسول الله ﷺ حدَّثنا أنَّ قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم**» أولئك القوم هم الخوارج، الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله: «**تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم**»[(١)]، ولما أتاهم ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فدخلت على قومٍ لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل ـ أي: ركبها الغليظة ـ، ووجوههم معلمة من آثار السجود»[(٢)]؛ أي: من طول القيام والصيام! فليست العبرة بمجرد إرادة الخير، لكن بموافقة السُّنَّة والسبيل.

قوله: «**وأيم الله! ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولَّى عنهم**» كأنَّه تفرَّس فيهم هذه النزعة البدعية.

قوله: «**رأينا عامة أولئك الحلق، يطاعنوننا يوم النهروان، مع الخوارج**» قالها عمرو بن سلمة، تصديقًا لفراسة ابن مسعود رضي الله عنه. فلما خرجت الخوارج، كان عامة هؤلاء الجهلة ممن خرجوا مع الخوارج، وقاتلوا عليًّا رضي الله عنه، والمهاجرين، والأنصار.

فهذه القصة تبيِّن لنا، بشكلٍ تطبيقي، معنى البدعة، فلا يزايد أحد على سنة رسول الله ﷺ، ويسوِّق ما راق له من المحدثات بدعوى أنَّ هذا فيه خير، وأنَّه ينتج عنه خير، وأنَّنا ما أردنا إلا الخير، فيقال: لو كان هذا المسلك سائغًا، لغدت الشريعة كلًّا مباحًا، وصارت في مهبِّ الريح، وضاعت معالم الدين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكَّل به أو فخر به برقم (٥٠٥٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني برقم (١٨٦٧٨)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٠٥٩٨)، وجامع بيان العلم وفضله برقم (١٨٣٤).

۞ **فوائد الأثر:**

١ ـ عمق فقه الصحابة، وفضلهم.

٢ ـ الرجوع لأهل العلم عند الاشتباه.

٣ ـ أن البدع تضاهي الأمور المشروعة، وتتلبس بها.

٤ ـ بيان حقيقة البدعة الإضافية.

٥ ـ الإنكار على المبتدعة، والتحذير من البدع، وعواقبها.

فاستمسك بالسُّنَّة المحضة، ودع عنك الأهواء والبدع والتزويق. فهذا الذي يجب أن يتواصى به أهل الإسلام، وعلى طلبة العلم مسؤولية كبرى في بيان حقيقة السُّنَّة، والحث عليها، وحقيقة البدعة، والتحذير منها، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

فرحم الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب على ما أودع في هذا الكتاب من العلوم النافعة، والمواعظ البليغة، والتنبيهات المهمة. ونسأل الله تعالى أن يلزمنا كلمة التقوى، وأن يجعلنا أحق بها وأهلها. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



فهرس المراجع

١ ـ ابن أبي حاتم، عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس: **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٢ ـ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد: **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣ ـ ابن الجوزي، عبد الرحمٰن بن علي: **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن، الرياض.

٤ ـ ابن القيم محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية: **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل** (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٥ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٦ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب: **مدارج السالكين بين منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾**، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٧ ـ ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **الفوائد**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٨ ـ ابن بطال، علي بن خلف: **شرح صحيح البخاري**، لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٩ ـ ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد: **الإبانة الكبرى**، المحقق: رضا معطي وآخرون، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

١٠ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، المحقق: ناصر العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١١ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق**، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٢ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، الناشر: دار المعرفة.

١٣ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **الصفدية**، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٤ - ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **الفتاوى الكبرى**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٥ - ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٦ - ابن حنبل، عبد الله بن أحمد: **السُّنَّة**، المحقق: د. محمد القحطاني، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٧ - ابن رجب، عبد الرحمٰن بن أحمد: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، المحقق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٨ - ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار قتيبة، دمشق، دار الوعي، حلب، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٩ - ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٠ - ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: **العقد الفريد**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢١ ـ ابن عجيبة، أحمد بن محمد: **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

٢٢ ـ ابن عساكر، علي بن الحسن: **تاريخ دمشق**، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٣ ـ ابن كثير: إسماعيل بن عمر: **مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ وأقواله على أبواب العلم**، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٤ ـ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٥ ـ ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٦ ـ ابن مفلح، إبراهيم بن محمد: **المبدع في شرح المقنع**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٧ ـ ابن وضاح، محمد بن وضاح: **البدع والنهي عنها**، المحقق: محمد أحمد دهمان، دار النشر: دار الصفا، القاهرة، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٨ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون.

٢٩ ـ أبو شامة، عبد الرحمٰن بن إسماعيل: **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٣٠ ـ أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجا المَرْوَزِي: **تعظيم قدر الصلاة**، (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار ـ المدينة المنورة.

٣١ ـ أبو نُعيم، أحمد بن عبد الله: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الناشر: السعادة، بجوار محافظة القاهرة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٢ ـ الآجري، محمد بن الحسين: **الشريعة**، المحقق: عبد الله الدميجي، دار النشر: دار الوطن، الرياض.

٣٣ - الأصبهاني، إسماعيل بن محمد: **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السُّنَّة**، المحقق: محمد بن ربيع المدخلي، الناشر: دار الراية، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣٤ - البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥ - البغدادي، أحمد بن علي: **تاريخ بغداد**، المحقق: الدكتور بشار عواد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٦ - البغوي، الحسين بن مسعود: **شرح السُّنَّة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٧ - البهوتي، منصور بن يونس: **كشاف القناع عن متن الإقناع**، الناشر: دار الكتب العلمية.

٣٨ - البيهقي، أحمد بن الحسين: **شعب الإيمان**، تحقيق: د. عبد العلي حامد، إشراف: مختار الندوي، الناشر: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٩ - الترمذي، محمد بن عيسى: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي.

٤٠ - التميمي، محمد بن عبد الوهاب، **مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان**، دراسة وتحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤١ - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي: **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية** (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٢ - حنبل، أحمد بن محمد: **الزهد**، المحقق: يحيى بن محمد سوس، الناشر: دار ابن رجب، ط٢، ٢٠٠٣م.

٤٣ ـ حنبل، أحمد بن محمد: **المسند الإمام**، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٤ ـ خالد الرباط، وآخرون: **الجامع لعلوم الإمام أحمد، الأدب والزهد**، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٤٥ ـ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمٰن: **المسند**، المعروف بـ**(سنن الدارمي)** تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٦ ـ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٧ ـ زين الدين عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي: **فتح الباري**، (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٨ ـ السِّجِسْتاني، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٤٩ ـ السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمٰن بن معلّا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥٠ ـ السمعاني، منصور بن محمد: **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ السيوطي، عبد الرحمٰن بن أبي بكر: **حقيقة السُّنَّة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**، المحقق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني، الناشر: مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ.

٥٢ ـ الشاطبي، إبراهيم بن موسى: **الاعتصام**، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٣ ـ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام: **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥٤ ـ الطبراني، سليمان بن أحمد: **المعجم الأوسط**، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.

٥٥ ـ الطبراني، سليمان بن أحمد: **المعجم الكبير**، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.

٥٦ ـ الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥٧ ـ الطرطوشي، محمد بن الوليد: **الحوادث والبدع**، المحقق: علي بن حسن الحلبي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٨ ـ العاملي، محمد بن حسين: **الكشكول**، المحقق: محمد عبد الكريم النمري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٩ ـ عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم**. (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل: الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٦٠ ـ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد: **إصلاح المساجد من البدع والعوائد**، خرَّج أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦١ ـ اللالكائي، هبة الله بن الحسن: **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة**، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، الناشر، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٦٢ ـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي الناشر: المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٦٣ ـ محيي الدين ابن عربي: **فصوص الحكم والتعليقات عليه**، طبعة دار الكتاب العربي.

٦٤ ـ محيي الدين ابن عربي: **«ديوان» ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق**، ت: محمد الشقيري. ط: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٥م (ص٢٤٥).

٦٥ ـ المروزي، محمد بن نصر: **السُّنَّة**، المحقق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٦ ـ المناوي، محمد عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٦٧ ـ النسائي، أحمد بن شعيب: **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٦٨ ـ النووي، يحيى بن شرف: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٦٩ ـ النووي، يحيى بن شرف: **رياض الصالحين**، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٠ ـ النويري، أحمد بن عبد الوهاب: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٧١ ـ النيسابوري، محمد بن عبد الله: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٧٢ ـ النيسابوري، مسلم بن الحجاج: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٣ ـ الواحدي، علي بن أحمد: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت ط١، ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
باب (١): فضل الإسلام	٩
باب (٢): وجوب الدخول الإسلام	٢٧
باب (٣): تفسير الإسلام	٤٤
باب (٤): قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٥١
باب (٥): وجوب الاستغناء بمتابعته الكتاب عن كل ما سواه	٥٤
باب (٦): ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام	٥٨
باب (٧): وجوب الدخول في الإسلام كله وترك ما سواه	٦٧
باب (٨): ما جاء أنَّ البدعة أشد من الكبائر	٧٧
باب (٩): ما جاء أنَّ الله احتجز التوبة على صاحب البدعة	٨٤
باب (١٠): قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٨٨
باب (١١): قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾	٩٣
باب (١٢): ما جاء في غربة الإسلام، وفضل الغرباء	١١٢
باب (١٣): التحذير من البدع	١٢١
فهرس المراجع	١٣٣
فهرس الموضوعات	١٤١